

روزگار

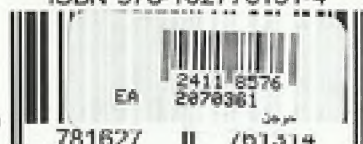
SALMAN LANA
WWW.MLALANA.COM

أنا حوجن بن مبحال الفيحي..
شاب في أوائل التسعين، أقدم لكم حكايتي مع
سوسن.. الإنسية. أتمنى أن تشاركوني همومي
وعواطفني، بغض النظر عن الحواجز التي تفصل
عالمينا..
عالم الإنس..
وعالم الجن..!



1٩ ريال - 7.99 GBP - 9.99 EUR - 11.99 USD

ISBN 978-162776131-4



إبراهيم عباس

إهداء لـ...

أميراتي وملهماتي: أمي وزوجتي وبناتي.

شكر لـ...

علي شنيمر الذي استمع إلى رواياتي قبل أن أكتبها،
وألج علي إلى أن كُتبت.. ويأسر بهجت رفيقي في الحلم
اليتخيلوني.



إبراهيم عباس.. عضو مؤسس في رابطة يتخيّلون التي تجمع
كتاب وعشاق ومبدعي الخيال العلمي العربي، هدفها نشر
وتحفيز ثقافة الخيال العلمي العربي وإثراء محتواها
ومخرجاتها والارتقاء بها بشكل يؤهلها للتنافسية العالمية.

www.يتخيّلون.com

sales@يتخيّلون.com

info@يتخيّلون.com

قصة.. قبل القصة

هذه الرواية ولدت من رحم رواية أخرى.. لا تقل عنها جنوناً ولا خيالاً. رواية لم تسعها الصفحات الورقية، فنُقشت على صفحات حياتنا وجدران قلوبنا. تحكي قصة روح ملائكية، سكنت في جسد حورية، وعاشت بيننا.. تظن نفسها بشرية.

كنت أسير في حياتي الروتينية، إلى أن لقيتها فأيقظت في كياني كل ما أصبحت عليه الآن. بسببها تعرفت على نفسي، وها أنذا لا أزال أحاول أن أرسم عواطفها بين ثنايا كل حرف أكتبه..

كل حرف يردد صدى لحن وجداني الدائم:

كل هذا من أجلك..

كل هذا بسبب حبك..

يا مينه.

إبراهيم،

(1)

بيتنا صار مسكوناً.. بالانس!

أنا حوجن..

حوجن بن مبحال الفبحي..

شاب في أوائل التسعين..

سأحكى لكم قصتي..

قصتي التي لم تبدأ بالفعل إلا منذ بضع سنوات.. مع
سوسن.. الإنسية.

حسنٌ، يهمني أن لا أتحدث مع من يتخيلني عفريتاً ذا عين
واحدة وقرون وسيقان ماعز، فدايماً تجتاحنا نوبات الضحك
الهستيري عندما نشاهد تلك الصورة التقليدية "العفريتية"
الساخجة التي تتخيلونها بها. أرجوكم انسوا من أكون، من أي
جنس وأي أصل، ما يهمني هنا هو أن تشاركوني قصتي
وأحاسيسي وحسب. وأشكركم مقدماً لتفهمكم..

ولأزيل بعض الفضول الذي أراه في أعينكم فأنا شكلي عادي
جداً، حالي حال أي جنّي، ولو أن أُمّي تبالغ أحياناً في
تدليلي والتغزل في جمالي فأنا وحيدها ودلوعها. لا تسألوني
عن التفاصيل، فقد فشلنا وفشلتم طوال آلاف السنين في نقلها

فمع إتمامي لدراستي بتفوق والحمدلله، والتحاقني بأحد أكبر الدور العلاجية (المراكز الطبية على حد تعبيركم) كمتدرب ومن ثم كموظف براتب محترم بدأت أُمي اسطوانتها اليومية التي لا تفتأ ترددها على مسامعي كلما رأتنني:

"يا حوجن فلانه تصلح لك.. يا حوجن شفت لك وحده زي القمر.. يا حوجن شمانه ما تتعوض.."

وأنا أتهرب منها بلطف، فلا أعتقد أنني سأقبل بالزواج التقليدي، ولا أجد رغبة في الانتقاء من بين المرشحات من بنات أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي (اثنان وتسعون فتاة نصفهم لم يتزوج بعد). أعلم أنه لو كان والدي على قيد الحياة لحسم الموضوع لصالح إحدى بنات أعمامي، لصالح جماري بالذات ابنة عمي سنوطل أكبر أعمامي، وذلك هو المستحيل بعينه! فأعمامي قد توغّلوا في أمور الشعوذة والسحر الأسود ووقعوا عقوداً مع أكبر تجمعات المردة وسحرة الإنس، وأعوذ بالله أن أسلك مسلكهم! كان والدي رحمه الله هو الوحيد الذي شدّ عنهم فرفض العمل في مجال خدمة السحرة التي تدر أضعاف المكاسب إذا ما قورنت بمهنته المتواضعة التي بالكاد تطعمني وأُمي، بل واختار الزواج من أُمي التي تعتبر

بدقة إلى مخيلتكم، ولكنني أتعشم في أن تتضح لديكم جوانب من حياتنا وطباعنا وأحاسيسنا نحن الجن، التي قد تستنكرون إذا قلت لكم أنها لا تختلف كثيراً عن طباعكم أنتم. فنحن مثلكم تماماً نأكل ونشرب وننام ونفرح ونحزن ونزوج ونحب و.. نحب!

من خلال احتكاكي البسيط بكم (يا إنس) لاحظت أنكم طالما تكرر نفس السؤال الذي يحمل بعض السذاجة: الجن يفعلون كذا؟ الجن يفعلون كذا؟! معقولة؟؟ وأعلم أن نفس هذا السؤال سيتكرر خلال سردي لقصتي، لذا أحب أن أجيبه مسبقاً وأكرر: نعم نحن مثلكم..! أولم نسكن معكم هذا العالم بصفتنا الكائنات الوحيدة العاقلة المكلفة بغيركم؟ أولم نعبد الله ونتبع الرسل مثلكم؟ فلم إذا تخيلون مجتمعنا بهذه السطحية الخزعبانية؟

نعود إليها.. سوسن.. سوسن اسم من أسمائكم، لم ألاحظه قط إلا بعد أن عرفتُها، وعرفت أنكم تطلقونه على تلك الزهرة التي أدمنت استنشاق عطرها من حوض الأزهار التي تعتنني بها على نافذتها. وقبل أن أتابع معكم أحداث روميرو وجولييت دعوني أقص عليكم القليل مما سبقها.

إلى مقر عملي، ولم يضايقنا أبداً وجود ذلك البيت بل بالعكس
خصصنا سطح البيت لجدي المريض وأنا سكنت إحدى غرف
المنزل أما أمي فكانت تسضي معظم الوقت بين رعاية جدي
والصلاة تحت سلالم البيت.

حتى جاء ذلك اليوم..

فعند عودتي من العمل لاحظت سيارتين أمام الفيلا وكان ذلك
يعني لنا شيئاً واحداً.. أن البيت أصبح مسكوناً!!

تجولت بسرعة في أنحاء البيت فوجدت أمي تحت سلم البيت
تبكي وتندب حظها.. قلت لها مهدئاً:

"ولا يهملك يا أمي، بكره نجهز أنفسنا للانتقال لقرية
عنانوه أو الهندبة، أنا ادخرت مبلغ و.."

"لا تقوليها!! مستحيل أترك هذا المكان!! مستحيل
أترك ريحة أبوك.. مستحيل أموت في غير المكان اللي
عشنا فيه سوا!! وبعدين يا حوجن لا تنسى إنه جدك
كبير ومريض وما يستحمل تعب النقل!!"

من آل النفر (سلالة النفر الذين استمعوا للقرآن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم) المعروفين بأخلاقهم والتزامهم على عكس
عائلة أبي، وكان من الطبيعي بعد وفاة والدي أن أتربى في
كنف أمي وجدي.

ونحن من الجن المستأنسين، أي أننا نسكن ونتأقلم بين
المجتمعات الإنسانية على عكس معظم التجمعات الجنية الأخرى
التي يضايقها وجود الإنس بالجوار فتفضل السكنى في
مستعمراتها الخاصة بعيداً عن المدن والمساكن الإنسانية. منذ
ولادتي وأنا أسكن هنا، في هذه البقعة التي كانت تبعد قرابة
العشرة كيلومترات شمال مدينة جدة التي تضخمت لتحل
معظم أجزاء قريننا، فهاجر من القرية من هاجر وبقينا أنا
وأمي وجدي مع من بقي في نفس المكان، وقبل خمسة أعوام
بدأتم في إنشاء إحدى مشاريعكم الكبيرة ولم تمر بضعة
أشهر حتى تحولت الأرض من حولنا إلى مجمع سكني هائل
يضم عشرات الألل الصغيرة ووجدنا أنفسنا في إحداها. بقيت
تلك الفيلا خاوية لما يزيد عن عامين، ازداد من خلالها اطلاعي
على مجتمعكم عن كثب، ففي السابق كنت لا أميل إلى
الاحتكاك بكم ولم يدفعني فضولي لذلك بالرغم من أنني
كنت أقطع مدينتكم بأكملها ذهاباً وإياباً كل يوم للوصول

وردية من الخجل عند احتكاكها بالناس فمن يراها يخالها طفلة لم تتعد التاسعة بابتسامتها الصافية ووجهها الممتلئ ووجنتيها الحمراوين طوال الوقت، ذلك الخجل جعلها تتحاشى الاندماج في محيطها وتميل إلى قضاء معظم أوقاتها بين كتبها.. أو أهلها.. أو.. بمفردها مع أزهارها.

كم تأثرت بنظرة الدكتور عبدالرحيم وهو يرى حلم حياته يتحقق أخيراً بامتلاك تلك الفيلا الصغيرة (فيلتنا سابقاً)، فقد أمضى عقدين من عمره في تلك الشقة يدفع إيجارها ويجمع القرش على القرش ليمتلك بيت أحلامه. كان يجول بنظره في تلك الفيلا وخياله حائر بين السعادة والعجب، فرجل مثله حاز على أعلى الدرجات الأكاديمية وتبوأ أعلى المناصب في وزارة الصحة عانى كل ما عانى ليمتلك منزلاً متواضعاً لا يرقى أبداً لما كان يتبادر إلى أحلامه وأحلام زوجته طوال أربعة وعشرين عاماً

"بابا.. بابا هذي الغرفة عجبتني..!!"

أعادته سوسن من بحر خواطره بتلك العبارة وهي تشير إلى آخر غرفة في الممر.. إلى غرفتي.. سابقاً!

كنت أعلم أنه لا مجال للنقاش مع دموعها وذكرى والدي، فمسحت بيدي على وجهها وقلت ملطفاً للموقف:

"إش يضرنا وجودهم؟ إحنا في حالنا وهم في حالهم.. وبعدين لا تحكمي عليهم قبل ما تشوفي أخلاقهم.."

نجحت كلماتي في تهدئة بعض روعها فاستأذنتها:

"خليني أشوف خبرهم وأرجع لك"

كان ذلك أحد الراغبين في شراء الفيلا، الدكتور عبدالرحيم سعيد، رجل جمع بين العلم والعصامية والوقار الذي خطه ذلك الشيب على شعره ولحيته الأثيقة، وحرمة السيدة رجاء الحاصلة على الماجستير في التربية وتدير إحدى المدارس الثانوية، وابنهم الشاب هتان الذي شارف على إتمام دراسته الثانوية، وابنتهم.. سوسن.

سوسن طالبة في كلية الطب، تسعى لتحقيق أحلام والديها بالتفوق المذهل في دراستها والمحافظة على معدكها الذي ندر أن يناله أحد في تلك الكلية، بالذات في آخر سنواتها. بالرغم من جديتها المفرطة في دراستها فإن سوسن تتحول إلى كتلة

قبل أن أستوعب الأمر كان الجميع في غرفتي بعد أن سبقتهم
سوسن إليها..

"هنا مكنتي وهنا سريرى وهنا أرض أحواض
الزهور.."

كانت سوسن تهتف بسعادة شاركها فيها الجميع.. عداي.
راقبت الجميع وهم ينصرفون وفهمت من حديث الدكتور
عبدالرحيم مع السمسار أنه سينتقل للعيش في الفيلا في
غضون أسبوعين فقط.

(2)

كلمتي الأولى لابنة الإنس!

اضطرت لأخذ إجازة طارئة، أمضيتهما ما بين تطيب خاطر
أمي المسكينة، ومراقبة أفواج العمال الذين بدأوا بتجهيز
البيت، دهان الجدران، تغيير الإضاءة، ترتيب الأثاث. أنتم يا
بشر مهووسون بالكماليات، نحن نبني بيوتنا في أيام، وأنتم
تمضون نصف أعماركم في بنائها، والنصف الباقي في إتمام
إكسسواراتها. كنت أراقبها، زهرة تلك الأسرة.. سوسن. كانت
تتقافز بين جنبات غرفتها الصغيرة، وكأنا ترقص بين شرفات
قصر أسطوري، تحمل قصاصاتها الملونة، وعيّنات أقمشة
السقائر، وصور الأثاث. الأثاث الذي وضعت أولى لمساته
بيديها.. حوض أزهارها.

انتقلت الوالدة إلى سطح المنزل بجوار جدي، وفضلت أنا أن
أقضي معظم الوقت في الفناء أو في المخزن. المتشددون من
الجن يحرمون العيش في بيوت الإنس، ولكننا نتبع الرأي
المعتدل الذي يبيع العيش معهم، أقصد معكم طالما لا يضر
أحدنا الآخر. في الواقع أنا لا أملك الخيار هنا فإني لم ولن
تقبل بترك هذا المنزل مهما حاولت إقناعها، ولم ولن أجرؤ على
تركها مع جدي. سببت لي حياتي بينكم الكثير من الارتباك
في بادئ الأمر، كنت أحرص على أن اتفادى الاحتكاك بكم
(من طرف واحد بالطبع)، كنت أحترم جميع خصوصيات تلك

كنت دائماً أعتقد أننا - معشر الجن - لدينا ما يكفينا من هموم، ولسنا بحاجة إلى المزيد من همومكم وتعتيقاتكم يا إنس، ولكن سوسن.. التي لم أرها في حياتي إلا ضاحكة مبتسمة، وكأن عضلات وجهها لا تتقن سوى رسم تلك الابتسامة الطفولية المكسوة بالبراءة وحمرة الخجل.. رأيته اليوم تبكي وتشتيق بشكل أثار شفتي وفضولي، ما الذي يمكن أن يُبكي هذه الطفلة؟ من الذي يمتلك ما يكفي من القسوة لحو تلك البسمة الملائكية؟ نصف ساعة مرت وأنا جالس في انتظار الفرج، وبكاء سوسن يخبو، ويتحول بالتدريج إلى شهقات بلا نحيب، ثم إلى بكاء صامت لا يقاطعه سوى أنفاسها المحترقة التي تلتقطها مكرفة بين الفينة والأخرى. أفرعني صوت طرقات الباب من خلفي.. هذه السيدة رجاء تسأل بلهفة:

"سوسن؟ سوسن! إيش حصل؟ سوسن؟ افتحي يا

هبت سوسن، التي كانت على استعداد لأن تتحمل كل آلام الدنيا ولا أن تتحمل لوعة أمها وأبيها عليها، استطاعت بمهارة أدهشتني أن ترسم الابتسامة التي اعتادت عليها عضلات وجهها رغماً عن أنف كل ذلك الحزن الذي لم يتبق منه سوى

الأسرة، ونادراً ما أبقى في نفس الغرفة مع أي منهم. لا أعتقد أن أيًا منكم أحس بهذا الشعور من قبل، شعور طاقية الإخفاء: أن ترى شخصاً يراك، أن تحمل هموم الدنيا وبيجوارك شخص يضحك على مشهد كوميدى في التلفزيون، أو أن تستيقظ من نومك فجأة على صوت شجار عائلي محتدم لا يخصك، أو أن تضطر إلى مغادرة الغرفة عندما تدخلها إنسية، وتتسلل خارجاً من الباب قبل أن تغلقه خلفها.. وهذا ليس مجرد مثال، وإنما موقف حصل لي بالفعل، فقد كنت أحن أحياناً لغرفتي.. أقصد غرفة سوسن، فأخذ فيها قيلولتي بعد عودتي من العمل، نويتى كانت تنتهي الساعة الثامنة صباحاً فأصل في الوقت الذي تكون فيه سوسن قد غادرت لجامعتها، وفي ذلك اليوم كنت منهكاً بالفعل، وغصت في نوم عميق وفجأة دخلت علي سوسن راكضة باكياً، وأغلقت بابها خلفها بسرعة وقوة، فلم أستطع أن أخرج، واضطرت للجلوس في غرفتها.

جلستُ القرفصاء بجوار الباب، في انتظار أي أحد ليفتحه لأبادر بالخروج.. وطال انتظاري.. كانت سوسن تبكي بحرقة على سريرها، دفنت رأسها في مخدتها، وانساب دموعها تسقيها..

"من جد؟!.. وإش سويتي؟"

"اضطربت يا ماما أنقل إجابات فرح صاحبتني.."

اتسعت عينا أمها لأخيهما وهي تصرخ:

"إيسيش؟"

واصلت سوسن في مكر وحزن درامي مصطنع:

"وكفشنا الدكتور!! وقدم أوراقنا للعمادة،

واعطوني إنذار بالفصل و.."

قاطعتها أمها بعد ما بدأت تستوعب خداع ابنتها:

"سووسسسسن!"

انفجرت سوسن ضاحكة مداعبة أمها:

"إش أسويك يا ماما إنت بتخلي من الحبة قبة، كلها

شوية زكام وطلعيني بابكي وأولول!"

قالت لها أمها في مداعبة حازمة وهي تعيد خصلة من شعر

سوسن غطت عيناها إلى مكانها:

انتفاخ عينيها واحمرار أنفها. أخفت المخدة المبللة تحت المخدة الأخرى، سحبت منديل لتمسح أنفها وفتحت الباب وهي تقول وينبرة تستحق عليها الأوسكار على إخفاء البكاء بالزكام الوهمي:

"نعم يا ماما.. نعم.."

فتحت الباب، ويادرتها أمها بنظرة قلقة مرتابة:

"سوسن؟ إنت بتبكي؟!"

أردت أن تستغل الفرصة وأبادر بالفرار من الغرفة قبل أن أحبس فيها مرة أخرى، ولكن فضولي غلبني، فوقفت قرب الباب أراقب الموقف، وأراقب ممثلتنا البارعة وهي تقول بلهجة مسرحية ويحزن مقتعل ساخر:

"ماما إنت ما عرفت إيش حصل اليوم في الكلية؟"

جلست على طرف السرير، وتساعد قلق أمها وهي تقول:

"خير يا بنتي إيش حصل؟"

"طلع عندي اختبارين ما كنت دارية عنهم.. وكل

البنات والأولاد حلوا كويس وأنا خبصت.."

مرت الأيام بروتينية، كل يوم يعودنا على الوضع أكثر من سابقه، وكانت سعادة سوسن وأهلها بمنزلهم الجديد تزداد، اعتقد أن هذه العائلة اجتماعية بالقطرة، فما لبث بيتهم أن تحول إلى نقطة التجمع المفضلة لمن حولهم، فمن التجمعات العائلية كل خميس وجمعة، إلى جلسات هتان وأصدقائه على البلوت والبلاي ستيشن والأفلام والقليل من المذاكرة، وأخيراً سوسن وصديقاتها وجمعات الوُدودة ومناقشة مستجدات الميوزك والفاشن.

الكل كان سعيداً بتلك الجمعات.. باستثناء الوالدة. كانت كلما اكتظ البيت كلما ازدادت توتراً.. وازدادت أنا تطيباً لخاظرها.

لاحظت خلال تلك الجمعات -أقصد جمعات سوسن- أن إحدى صديقاتها لا تأتي إلا ورقيقها شنوش معها، شخص مبتذل تفوح تقاطيع وجهه خبثاً ومكراً. كان يرمقني شذراً كلما عبروا الفناء أثناء دخولهن وخروجهن. نسيت أن أوضح أن شنوش هو جني ساخر أدمن هو الآخر جمعات سوسن وصديقاتها.

لم أبه كثيراً بما يدور بينهن، حتى جاءت تلك الليلة الباردة التي شق سكونها صوت صراخ انطلق من غرفة سوسن، غفرت على الفور مختلساً النظر من نافذتها نصف المفتوحة

"دائماً تسويها في أمك!.. أنا خاوريك شغك بعدين.. يلا غيري ملايسك وانزلي ساعدينني في تجهيز القذا"

خرجت الأم وبادرتُ أنا بالخروج قبل أن تغلق أم سوسن الباب، وألقيت نظرة أخيرة على سوسن، على عينيها التي عادت تقذف الدموع الساخنة التي استطاعت أن تحبسها عن أمها بأعجوبة.

يا ترى مالذي يحزنك يا سوسن؟ أول سبب قد يخطر ببالي هو السبب الذي يبكي كل البنات في سنّها: أزمة عاطفية..! أعتقد انها كأكثر الفتيات من حولها قد جرحها الشاطر حسن الذي كانت تحلم به أميراً ينتزعها بذراعه المفتول ليلقي بها خلفه على حصانه الأبيض لتكتشف أنه ليس سوى نذل آخر يلقي بها من ميجوري هاتفه وقائمة ماسنجره لتفسح المجال للمزيد من المغفلات.. تتكرر القصة معكن يا بنات الإنس، كل يوم وكل لحظة وأنتم مهووسات بعواطفكن، لا تتعبن من أحلامكن، وأكثركن حظاً هي التي يسعفها ذكاؤها لتقنيد الأدمي من المنزل، ويتماسك حياؤها وكرامتها إلى أن تجبره على أخذ الأمور بجدية والقدوم لطرق الباب.

"أقول خليلك في حالك يا ملقوف، تدافع عن الإنس
وهم أساس البلاء! هؤلاء هم اللي يترجوني أجيبهم
والعب معاهم.. أسألهم لو مش مصدق!"

وغيرَ بسرعة تاركاً هلع البنات وحيرتي خلفه. اندفعت خلود
تجاهي وهي تقول:

"تعالوا يا بنات لازم نصرفها!"

لحقت بها أريج وبقيت سويس بجانب رهف تهدئها. رأيتهن
يتجهن نحوي وينظرن تجاهي، فأصابني الرعب! فالأول مره
أشعر أن أحداً منكم يراني، ولكنني اكتشفت أنهم كن يتجهن
إلى تلك اللوحة المعلقة تحتي ووضعت كل من خلود وأريج
إصبعها على ذلك القرص البلاستيكي على اللوحة. وبدأت
خلود تقول بصوت لا يخلو من التوتر:

"مع السلامة.."

تحول توترها إلى خوف وهي تكرر:

"مع السلامة.. مع السلامة..!!"

لأجد صديقتها رهف تبكي بشكل مستيري والبنات يحاولن
تهدئها وشنوش مستلق في وسط الغرفة وغارق في الضحك.
لم أفهم الموقف مطلقاً ولكنني لم أتمكن أعصابي فهجمت على
ذلك الدن صارخاً:

"إش سويت للبنث يا خسيس!!!"

أجابني وهو يحاول التملص من قبضتي دون أن يتوقف
ضحكه المستفز:

"هلا والله بالجني المطوع.. جاي تدافع عن بنات
الإنس؟ خايف يجرموك من بقايا الأكل اللي يرموها لك
في الزبالة؟"

لم أتمكن أعصابي وأنا أعتصر جسده الهزيل:

"لو أشوقك هنا مره ثانيه والله لأقتلك!"

أفلت الحقيير من قبضتي وفر إلى النافذة ورمقني وقد تحولت
ضحكاته إلى ابتسامة ساخرة وقال:

"مع السلامة! مع السلامة!!!"

أعرف أن الاحتكاك بكم حرام لا محالة، ولكنني في ذلك الموقف لم أستطع أن أمنع نفسي من التدخل لتهدئة الوضع، وجدت نفسي أمد يدي لا شعورياً تجاه القرص على تلك اللوحة التي تراصت عليها حروف إنجليزية مع أرقام، وصورتي الشمس والقمر وبعض الكلمات: yes, no, goodbye ففهمت أنهن يردن إنهاء اللعبة فبدأت بتحريك إصبعي على القرص.. مع خلود وأريج.. ورُعبت أكثر منهن عندما تحرك وبدأ يحوم على اللوحة مع حركة يدي.. وحركته تجاه عبارة goodbye وحالما وصل إلى هناك سحبت يدي بسرعة وكأنما خشيت أن يصعقني ذلك الشيء إن استمررت بتحريكه. وشعر الجميع بالارتياح إلا أنا!

أعتقد أنني ارتعبت أكثر من رعباً قفزت نحو الشباك وعدت إلى المخزن بسرعة، لم أنم طوال النهار، لأول مرة في حياتي أحثك بكم يا إيس بشكل مباشر، لا أعلم إن كان ما عملته حرام أم حلال، ولم ولن أجرو أن أبين ذلك للوالدة، ولكنه شعور فعلاً غريب.

كررت معها أريج وهي تحاول تحريك القرص تحت إصبعها المرتعش:

"مع السلامة.. مع السلامة يا دليمه!!!"

شبهت رفف وهي تراقبهن، توقفت بكاؤهما فجأة وهي تقول بهلج:

"شفتوا؟؟ شفتوا؟؟ الجنية اتلبستني! أنا اتمست، هي قالت رح تلبسنني! أنا اتمست!!!"

وسوسن تحاول تهدئتها:

"يا شيخه قوللي أعوذ بالله من الشيطان، هذا كله لعب وكلام فاضي، معقول وحدة عاقله ومؤمنة زيك تفكر كذا؟"

ولكن رفف استمرت تردد:

"أنا اتمست!"

وكانت مصيبة خلود تزداد وهي تهز ذلك القرص أسفل مني وتكرر مع أريج:

تسعون عاماً وأنا أراقبكم ولا أكاد أشعر بوجودكم.. واليوم
تواصلت معكم وبشكل مباشر. قلت لكم كلمة واحدة مع
السلامة! وقررت ألا أقول غيرها!

(3)

وأخيراً عرفتيني يا سوسن!

لم أتمالك نفسي.. فسافرت على الفور إلى الهندية (إحدى
قرانا في شمال البحر الأحمر) لأسأل صديقي غرمان عما
حصل في تلك الليلة.. غرمان حكيم جاوز عمره الثلاثمائة عام،
وله معكم يا معشر الإنس عشرة طويلة وخيرة بحكم تنقله بين
الكثير من بلدانكم وتعايشه معكم، حكيت له ما حدث معي ليلة
البارحة فقال متعجباً:

"هذي لعبة الويجا! معقول عمرك ما سمعت عنها؟"

"ويجا؟ لا والله ما سمعت عنها.. لعبة؟! معقول؟"

دول كانوا مرعوبين وأنا كنت مرعوب أكثر منهم!!"

ضحك غرمان وقال:

"هذي لعبة قديمة بيننا وبينهم.. ياما لعبناها"

"معقول سوسن وصاحباتها يعرفوا يخضرونا؟!"

"يخضرونا؟! ياخي ليس تكبر الموضوع؟ المسألة

أبسط من كذا بكثير.. في الويجا إحنا ما نحك بهم

بشكل مباشر.. أسمع يا حوجن، صحيح البشر

محصورين في بعدهم الطيني، لكن أرواحهم تحس

بكل الأبعاد، لكن قليل منهم يميزوا هذا الإحساس، كل اللي بيحصل إنه باجتماع البشر وتركيزهم تزيد شفافيتهم الروحية، وبالتالي يزيد إحساسهم بحركتنا ويحركوا مضرب الوبجا معانا.."

"يعني شنوش كان مفهمهم إنه جنسية وبيئليس صاحبتهم.."

"بدون شك!.. فيه كثير هوايتهم التسلية مع الإنسان.. وتلاقية كل مرة يآلف لهم حكاية جديدة.. وهم يصدقوه."

عدت من الهندية وفي خاطري هاجس وحيد لم أستطع مقاومته.. معقول أستطيع أن أتواصل مع سوسن؟! بدأت تلك الفكرة تسيطر على بالي، وكلما نفضتها تعاودني وتتملك وجداني بشكل أكبر، بالذات عندما أراقب سوسن قبل أن أخلد للنوم كل صباح وهي تسقي أزهارها وتغني لها وتكلمها.. ليتني زهرة على نافذتك يا سوسن.. أحيا على عذب مائك وأغانيك وهمساتك..

"حوجن؟ أش فيك مسرَح؟"

بتر صوت أُمي من خلفي سيل خيالاتي.. فأجبتها مرتبكاً:

"أُمي؟ ماغي شي.. عادي.."

"حالك مو عاجيني يا حوجن، من يوم ما سكنوا الإنس بيتنا وإنت كل يوم تسهر لحد الليل.. قاعد تحوم حولين بنتهم.. ما يصير!"

"يا أُمي إنت عارفه إنه هذا بيتنا قبل حتى ما يوادوا ومو سهل أبعد عنه فجأة بعد كل هذي السنين.."

"حوجن، أنا أملك! لا تقعد تلف وتدورا ما يصير نكشف على عوراتهم في بيتهم، أصحك يا حوجن تقرب منهم.. أصحك! برضاياه عليك يا حوجن.. أبعد عنهم..!"

"إش تقولي يا أُمي.. من جدك؟ طبعاً مستحيل أقرب منهم.. إحنا ناقصين مشاكل الإنسان فوق مشاكلنا؟!"

لم يهدئ كلامي سوى القليل من قلق أُمي وهمومها، ولكن كلامها أشعل كل قلقي وهمومي! معقول؟ هل تعلق بآنسية؟

أقنعت نفسي، أو بالأصح أوهمتني أن القليل من الاهتمام والفضول والإعجاب لا تضر، وفي نهاية المطاف كل واحد منا في حاله، في عالمه المخفي عن الآخر، يكفي أن أراقبك يا سوسن من بعيد، أستمع وأستمع بغناك لأزهارك.

آه.. ولكن ما يمزق خاطري هو أنها لا تشعر بي، لا تدرك أنني موجود أصلاً انقطع حبل خاطري وأنا جالس في غرفة سوسن الخالية بين سريرها ومكتبها عندما انفتحت بابها بشدة، وبخلت سوسن وأغلقت الباب خلفها بثوثر، وأسرعت تفتح كمبيوترها وتضع فيه اسطوانة أخرجتها من حقيبتها، انتقل ثوثر سوسن وقلقها إلي وأرغمني فضولي مرة أخرى على أن أقف خلف كرسيها وأراقب شاشة الكمبيوتر.. ظهرت صور سوداء على الشاشة استلطعت أن أميز فيها مقاطع لدماغ بشري، وذلك بحكم دراستي حيث أننا نتطرق إلى دراسة التشريح البشري في مناهجنا، قلبت سوسن الصور المقطعية للدماغ وظهت تلك البقعة الباهقة التي لا تعني سوى أن صاحب ذلك الدماغ مصاب بورم مميت، التفت إلى سوسن عندما سمعت صوت بكائها الصامت، وكأنها تخشى أن يشاركها أحد مرارة أحزانها..

لا لا مستحيل..! أنا الذي عرفت مئات الجنيات ذوات الحسب والأدب والجمال ولم تحرك أياً منهن ذرة من مشاعري.. أجلس تحت شرفة هذه الإنسية وأثأوه على غنائها لأزهارها؟؟!!

معقول؟ بعد أن كنت أشفق على عشاق الإنس الذين ملأوا مجالس الرقاة والمصححات ليتعالجوا من تعلقهم بالإنس.. أصبح أنا واحداً منهم؟ تذكرت عبارة عمتي عندما قلت لها:

"هل عشقت لذلك الإنسي يستحق أن تدمري حياتك وحياتك؟!"

"ياخويين الحب ما يفرق بين الإنس والجن."

حب؟ معقول أكرن وقعت في حب إنسية؟ معقول أحبك يا سوسن؟

في عرفكم حب من هذا النوع يعتبر ضرباً من الخزعبلات.. حتى لو تجاوزنا الاختلاف الجذري في التكوين، مع استحالة التواصل، مع فرق السن الذي قد يشكل مشكلة بالنسبة لكم يا بشر (بالنسبة لنا هذا الفرق طبيعي.. فوالدي أكبر من والدي باثنين وثمانين عاماً!).. لكنني أعود وأكرر مقولة عمتي.. الحب فوق كل الفروقات!!

لا أخفيكم أنني أصبحت أتحين الفرص لأتواجد بقرب سوسن، ولكنني عاهدت نفسي أن أتحاشى الوجود معها وهي بمفردها احتراماً لخصوصيتها، وكنت أخون ذلك العهد أحياناً عندما أعجز عن مقاومة مراقبتها من بعيد وهي تمارس عاداتها اليومية بتدليل أزهارها.

وكانت تلك الليلة عندما خرجت سوسن بصحبة زميلاتها أريج وخلود إلى كوفي شوب على الكورنيش، وكالعادة تغلب علي فضولي فتبعتهن إلى هناك، ترددت وأنا أنساب خلف سيارة خلود وكنت أن أعود أدرجي عندما تذكرت كلام أمي، ولكنني استمررت في ملاحظتهن، وعندما توقفت السيارة عند إشارة المرور اقتربت من نافذة السيارة الخلفية حيث تجلس سوسن وصديقاتها واختلست السمع والنظر إليهن وهن يتبادلن الأحاديث والضحكات عن المواضيع ذاتها: الأولاد ومغامراتهم.. وفجأة شهقت خلود التي كانت تجلس ناحية النافذة التي أنظر منها والتفتت نحوي مباشرة التفاتة أفرغتني لدرجة أنني انسحبت بسرعة.. سألتها سوسن:

"خلود؟ بسم الله عليك إيش فيه؟"

"حسيت إنه فيه أحد يطالع علينا من الشباك!"

رأيت نهر دموعها يسيل على وجنتيها، ويهطل على الكمبيوتر وعيناها محدقتان في تلك الصورة على الشاشة. مدت يدي إليها، أعلم أنها لن تلمسها، مررتُ أناقلي على وجنتيها، حاولت محاولة متأكد مسبقاً من فشلها أن أمسح تلك الدموع، رأيت يدها تعبر خلال يدي وهي تمسح دموعها، انتفضت سوسن ونظرت خلفها وانتفضت أنا مع أنني أعلم أنها لم تشعر بي، ورأيتها تطبق جهازها بعنف وتمسح ما تبقى من دموعها بسرعة وتركض نحو باب الغرفة تفتحه فقد أحست بقدوم والدتها، خرجت أنا بسرعة والتفت خلفي لأرى سوسن وهي تطفو من أعناق حزنها إلى قمة المرح وهي تحدث والدتها.

هل يعقل أن يكون الدكتور عبدالرحيم مصاب بالسرطان؟ لقد لاحظت حديثه المتكرر عن تقدم السن والآلام التي يعاني منها، كنت أظن أن كل تلك أعراض طبيعية لشخص عاش تضالاً مريراً لسنوات عديدة فقط كي يؤمن منزلاً لأسرته، ويرى أبناءه يكبرون أمامه ويستعدون لخوض معترك الحياة، كل من يصل إلى تلك المرحلة تبدأ لديه هواجس الكبر، ولكن لم أتوقع أن يكون الأمر بتلك الخطورة! كل تقديري واحترامي لك يا أيها الدكتور المناضل في زمن استأسد فيه السفلة والمتعلقون.

والبعض كان يحلف لي أن هناك أناس يروونه.. على العموم الحجاب الذي بيننا لغز لا نعرف منه إلا الشيء اليسير.

نعود لسوسن وصديقاتها، تبعتهن إلى داخل الكوفي شوب المزدحم، وبدأت أشعر بالتوتر وأنا محاط بهذا الكم من البشر. وأصبحت متوجساً من كل شخص ينظر نحوي بعد أن أربعتني خلود عندما لمحتني من السيارة. لحسن حظي جلس البنات على طاولة بأربعة مقاعد، فجلست أنا على المقعد الخالي إلا من حقائبهن. وانشغلت بمراقبة سوسن التي كانت تختلف عنهن، فهي لا تشاركهن ذلك التفكير السطحي وإن كانت تجاملهن بابتساماتها وإيماءاتها وفي عينيها حزن لم يلاحظه أحد غيري. لم تهمني مواضيعهن إلى أن عادت خلود وفتحت سيرتها.. أقصد سيرة الجن، أعلم أن قصص الجن تحمل لكم الكثير من الإثارة والمتعة والخوف أيضاً، حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حديث مجالسكم!

وكما ذكرت لكم في بداية سطورتي فقد سئمت من المبالغات الأسطورية الخزعبلاتية التي تضيفونها إلى واقعنا! فكل من يلج ثوباً على جبل الغسيل يدعي أنه رأى شيخاً طائراً بلحية بيضاء يشع النور من عينيه. لكنني بالرغم من ذلك لمست

قاطعتها أريج بنبرة قلقة:

"أقول ريحينا يا خلود.. تري محنا ناقصين خزعبلاتك!!"

وتابعت سوسن:

"خلود تري من جد إنت بتتأثري بالأفلام اللي تشوفوها والمواقع اللي منب راضيه تسيبها!"

لكن خلود كانت متأكدة أنها شعرت بشئ ما.. شعرت بوجودي!

"والله ما أمزح معاكم.. من جد حسيت إنه فيه خيال واحد يطالع فينا واختفى فجأة!"

بدأت أريج تفقد أعصابها:

"بالله عليك لا ترعيبيني.. يكفي اللي حصل لرهف ذاك اليوم.."

انتهى ذلك الحوار.. ولكن قلقي لم ينته، سمعت من قبل أن بعضكم يشعر بوجودنا، وقد يرانا!! يحكي لي بعض أصدقائي أن أبناءهم يلعبون مع بعض أبناء الإناس،

"Excuse me please"

هرع إليها أحد العاملين وتعجب عندما طلبت منه قلماً فناولها قلمه، وبدأت تخط الحروف والأرقام على تلك الورقة، كُنت متأكداً أن لوحة الويجا بذاتها لا تحمل أي تعاويذ، وأن فكرتها قد تطبق بأي أسلوب.

انتهت خبيرة الجن خلود من تجهيز لوحة الويجا البدائية، وجات بعينها تبحث عن شيء ما، وابتسمت وهي تتناول قارورة الماء البلاستيكية من أمام أريج:

"عن إدفك.. حاسنلف غطا القارورة.."

"إيه تبغي تمليلي دنهوشي؟ وبعدين عمرك شفتي ويجا عربية؟ والله تطورنا.."

تجاهلتها خلود مرة أخرى:

"يللا يا بنات.. كل وحدة تحط صباغها.."

انتصر الفضول كعادته ووضعت كل منهن سبابتها على الغطاء المقلوب على الورقة.. وقادت خلود الجولة وهي تقول:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

الصدق في كلام خلود وهي تحكي قصصها والمواقف التي حصلت لها شخصياً، فقد كانت جميعها منطقية بالنسبة لي على الأقل. ومع اندماج سوسن وأريج مع قصص خلود فاجأتهن قائلة:

"إش رأيكم نلعب ويجا؟"

فأجابت سوسن بفضول:

"من جد؟ إنت جيتيها معاكي؟"

واعترضت أريج:

"أقول يا خلود روقينا الله يخليك! أنا جيلكتي بعد شهر وماني مستعدة أقابل ابن الناس وأنا ملموسة!!"

ولكن خلود تجاهلتها وهي تقول:

"مو لازم أجيب البورد معايا، الجن موجودين في كل مكان ونقدر ندردش معاهم وقت ما نحب..!"

قالتها وأزلحت أكواب القهوة لتنتشل الورقة التي يفترض أن تكون وضعت كغطاء للطاولة، قلبتها على الجهة البيضاء ونادت:

أعتقد أن فضولي تقبّل هذه الحرة أمام رعيي منكم،
واحترامي لومع والدتي..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

كررتها خلود.. وشاركتها أريج هذه المرة..

"شكلهم الجن مقاطعين ستاربكس!!"

قالتها سوسن فضحكت أريج وضحكت أنا معها.. ولكن خلود
استمرت بإصرار:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

هذه فرصة قد لا تتكرر، أستطيع أن أحدث إلى سوسن..! أن
أخبرها من أكون، أن أخبرها أن عينيها أذايت الجن! وغناءها
أسكرهم!!

"على قولك شكله فعلاً ماغي جن هنا غيرنا"

قالتها خلود بعد أن ينست، فبادرتها أريج بعد أن رفعت
إصبعها:

"يا شيخة إنتِ من جدك مصدقة هذي الخزعبلات؟"
كله شيزوغرينيا يا ماما.. الجن مو فاضين لنا! هاتي
غطا القارورة بس، شكله صار مدنيش!.. بيغالي
أشرب خطيبي من هذي القارورة عشان يطيح في
بباديبي أكثر.. ويشوف البنات الباقيين كلهم شبه
هنيدي..!"

مدت يدي لا شعورياً إلى يد سوسن، كمن يتلقف التحفة
الكريستالية الثمينة قبل أن تسقط، ولكنني لم ألحقها.. رفعت
أناملها قبل أن أصلها، فبقيت يدي ويد خلود، حاولت جاهداً
أن أحرك ذلك الغطاء تجاه كلمة (نعم).. حاولت وحاولت ولكن
الغطاء لم يتزحزح..

"يابنات لازم نقول مع السلامة احتياط.. يمكن فيه
جني كذا وللا كذا؟ من جد ما بامزح..!"

تجاهلتها أريج التي انشغلت بالرد على اتصال خطيبها بدلال،
ومدت سوسن يدها، فحقق قلبي (نعم عندي قلب) بعنف وعدت
أحرك الغطاء بأناملي المرتعشة.. فتحرك..! تحرك الغطاء
متثاقلاً تجاه كلمة (مع السلامة).. فاندحشت خلود وسألت
على الفور:

أكبر سنأ من جدھا الذي توفي قبل خمسة عشر عاماً؟
وأسكن مع أهلي في بيتها؟؟!! ياله من موقفاً ليتني لم أضع
إصبعي، لولا أنني خشيت أن أصيبهم بالهلع كما حصل المرة
السابقة لعدم إنهاء اللعبة لرفعت إصبعي على الفور.. سوسن
ماذا أقول لك؟ ما الذي يمكن أن يثير إعجابك بي؟ لم تمهلني
خلود الوقت لترتيب أفكاري:

"ذكر وللا أنشي"

حركت إصبعي فانساب الغطاء على حروف اللوحة:

"ذ ك ر"

"إش اسك؟"

هل أخبرك باسمي يا سوسن؟ ستستغربين، وقد تضحكين، هل
أستعير اسماً بئرياً؟.. لا يا سوسن.. لن أخبرك سوى
الحقيقة!!

"ح و ع ن"

"حُوجن"

"فيه أحد؟!"

حركت الغطاء تجاه كلمة (نعم) فترنح قليلاً على الورقة بين
الحروف إلى أن شق طريقه نحوها..

ابتسمت خلود واتسعت عينها سوسن وفغرت أريج وأنتهت
مكالمتها:

"أقول لؤي أكلمك بعدين باي.."

ألقت هاتفياً.. وهي تقول:

"بتمزحوا!! بلاش المزح الرزيل دا!!"

أجابتها خلود:

"حطّي صباغك معانا بسرعة.."

وضعت أريج سبابتها على الغطاء، فأحسست أن حركتها
أصبحت سلسة، وبدأ يطفو على سطح الورقة فوق كلمة
(نعم)..

أعزائي.. أنا الآن أتكلم مع سوسن.. لأول مرة في حياتي..!
ياترى ماذا أقول لها؟؟ أقول لها أنني جنني؟..

نطقتها أريج بضم الحاء.. فأصبح فعلاً مضحكاً فتحرّكت
بسرعة نحو كلمة (لا) وعدت أرتب الحروف:

"ح و ج ن"

قالت أريج:

"ما قلنا لك حُوجن يا أخي.."

قالت سوسن:

"يمكن حُوجن مو حُوجن.. زي اسمي"

أصبحت بالذهول..! يا لغبائي..! لأول مرة أكتشف أن اسمي
قريب لهذه الدرجة من اسمها، لقد سمعت اسمي منها وكأنما
أسمعه لأول مرة في حياتي، وكأنني ولدت للفر وأطلقت هي
علي هذا الاسم، لقد عشقت اسمي.. نطقته سوسن.. خرج
من بين شفتيها..!

أخرجني سؤالهن المشترك من احتفالي الذهني البسيط..

"اسمك حُوجن؟"

غفّت من ذهولي وتحركت على الفور تجاه كلمة (نعم) وحُمت
بالغطاء فوقها بسعادة ثم عدت مرة أخرى على الحروف:

"ح و ج ن س و س ن ح و ج ن س و س ن"

"الأخ طاح عندك.. جنية من يومك يا سوسن!"

قالت أريج فأشارت إلينا خلود بالصمت، وعادت تستجوبيني:

"كم عمرك يا حُوجن؟"

أخ! هذا السؤال الذي لم أكن أتمناه أبداً.. ماذا أقول الآن..
قلت لهن العبارة التي افترحت بها حديثي معكم:

"ش ا ب"

"90"

ضحكت أريج وهي تقول:

"هاهاي.. لوحة سيارة هذي وللا إيش.. والله هذا

الجنّي قلّه!!"

خزنتها خلود بتوتر:

بأنني لا زلت شاباً، أو هذا ما أحاول إقناع نفسي به! فعدت
وسألتني بكل رقة:

"ليش يا حوجن؟"

ولثاني مرة أشعر أنني أسمع اسمي لأول مرة، ولكن بم أجيب؟
أنقذتني أريج التي لا تكف عن المزاح:

"ليه؟ ما عندكم بنات جنيات حلوين زينا؟"

فأسرعت إلى (لا) ودرت عليها مراراً، فضحك وعقبت أريج
كعادتها:

"الحقي يا سوسن البوي فريند حقا غزلنجي من
أولها!! اسأليه يا خلود كيف شكله؟ فين ساكن؟"

أنقذت سوسن الموقف عندما أطلقت إحدى ضحكاتها الرقيقة
وقالت:

"يابنات لازم نرجع بيوتنا، عندنا محاضرات الصبح
بدي.. نسيتموا وللا إيه؟"

"مسخيتها يا أريج.. هذا المزح ما ينفع"

"ما عليك، عندنا واسطة: القيرل فرند حقه سوسن.."

على قدر ما ضايقتني مزحتها الأولى، على قدر ما دغدغت
مشاعري مزحتها الثانية..

واصلت خلود:

"عمرك تسعين سنة يا حوجن؟"

حركت الغطاء بخجل نحو (نعم) وقبل أن أصل مرة أخرى،
نطقت سوسن أخيراً:

"متزوج؟"

تدخلت أريج:

"أكيد يا بنتي متزوج وعنده خمسين ابن وميتين
حفيد.. بيقول لك عمره تسعين سنة!!"

قاطعت أنا أريج هذه المرة عندما حركت الغطاء نحو (لا) وقلبي
يكاد يقفز من الفرح، فسؤال سوسن يدل على أنها اقتنعت

وافقتُها أريج:

"وكمان المطعم كله بيتفرج علينا كأننا البنات اللي في
مسلسل إنشانتند.. نقوم بكرامتنا أحسن قبل لا
ينادوا لنا الهيئة.."

"مع السلامة يا حوجن"

مزقتني خلود عندما قالتها فاتجهت نحو (مع السلامة) ورفعت
يدي، فتوقف الغطاء كالحجر..

"خلاص؟ أقدر أغطي قارورتني؟.. سامحني يا لؤي!"

للم البنات أغراضهن استعداداً للانصراف وقالت سوسن:

"أحسن نشيل الورقة دي لا يجي أحد يشوفها.."

أخذت الورقة ودسّتها في حقيبتها وتركنتني في خليط
مشاعري، بقيت في الكوفي شوب، وصوتها الرقيق يتردد في
خاطري عندما نطقت اسمي، يتكرر بلا توقف حتى أشرقت
الشمس.

(4)

إياد.. كم أكرهك!

أنتم (أيها الإنس) معقدون جداً في عواطفكم. أعتقد أنكم معقدون في كل شيء، وأعتقد أنني أصبت بالعدوى منكم. الأمور عندنا مباشرة وسهلة. كلما حاولت أن أفهم تراكيكم العاطفية أفضل، تعيشون جنون العشق ولوعة الغرام طالما كان ذلك العشق خيالياً مستحيلاً، وبدأ بالتلاشي عندما يتلاقى الحبيبان.. عندما يتعاشيان.. عندما تنتقل علاقتهما من رسائل واتصالات آخر الليل إلى صراع حقيقي مع الحياة! هنا يتحول الحب في أحسن حالاته إلى روتين ممل. إلى لسته من الواجبات التي لا بد أن يؤديها الحبيبان، ويظللن يتباكيان على حرارة العشق القديم. أما العشق الأقل حظاً فيتحول إلى صراع وعناد وحرب ضروس للاستيلاء على مركز السلطة.. تنتهي عادة باليأس ثم الفراق. ولكنني في حالات نادرة ألاحظ أن هناك إنساً يعرفون معنى العشق الأبدي، الحب الذي لا يعرف الأثائية ولا تزیده الأيام سوى اتقاداً، من تلك الحالات الدكتور عبدالرحيم وزوجته السيدة رجاء، عندما أراه يفتح لها باب السيارة ويدللها بنظراته حتى تستوى على مقعدها كالأميرة، ويخلق بابها برقة كأنه أحد نبلاء العصور الوسطى. أراها كل ليلة تذاك فقرات ظهره أكثر من الليلة التي قبلها مع ازدياد ألامه. يا ترى كم سنة مرت وهي على هذا الحال؟

هذا دفترك أمامي، آخر من تتحدثين إليه قبل أن تذهبي إلى سريرك، وقد يكون المحفوظ الوحيد الذي تبوحين له بما يجول بخاطرك، الوحيد؟ ولم لا يكون هناك محفوظ آخر؟ أرعبتني هذه الفكرة فبعد كل القصص والمغامرات التي سمعتها من صديقاتك، يصعب أن أصدق أن هناك مراهقة تحيا بلا مغامرة، مهما كانت المغامرة سطحية تافهة عابرة، يصعب أن أصدق أن هناك فتاة تحيا بدون قصة مع فارس، أو حتى نذل! لكنك يا سوسن مختلفة! وما يدريك يا جوجن؟ هناك من البنات عن تخفي علاقاتها عن أهلها لسنوات! هذه الأفكار المريبة تراودني، تشعل فضولي.. لا أنكر أنني تخليت - قليلاً - عن مبدأ الاكتفاء بالمراقبة عن بعد وبدأت أتطفل على شؤون سوسن الخاصة.

اسمه إياد..! هذا ما اكتشفته على الفور عندما اقتربت أكثر عن خصوصيات سوسن، ففي تلك الليلة وبينما كانت سوسن تمضي ساعات الليل في المذاكرة بين كتبها وكمبيوترها، ظهرت رسالة في ركن الشاشة من شخص اسمه إياد:

"سوسن إنت أونلاين؟ كيفك مع المذاكرة؟ ما بازعجك.. بس إذا احتجت أي شي تري أنا سهران.."

أعتقد أن حباً حقيقياً كهذا جدير بأن يحتضن ملاكاً برقة سوسن.. أه.. عدنا إليك يا سوسن!

على فكرة.. بالرغم من أن سوسن نادراً ما تغادر خاطري، إلا أنني لا أراها إلا للحظات قليلة كل يوم، عندما تطل من النافذة لتداعب أزهارها، وعندما تعود هي من الكلية قبل أن أغادر أنا غرفتها (غرفتي سابقاً).

قبل أن تنتقل سوسن وأسرتها للسكن في هذا البيت كنت أنام عند الحائط المقابل للنافذة، أما الآن وقد احتلت خزانة ملابسها مكان نومي المفضل اضطرت لأن أغير مكان نومي وأصبحت أنام خلف الباب، أمضي وقتي عادة في المخزن الصغير في ركن الحديقة، أقاوم النوم إلى أن تنزل سوسن مع والدها ليوصلها إلى كليتها قبل أن ينطلق إلى مكتبه، فاتحين الفرصة وأصعد إلى غرفتها، أطارد ما تبقى من رائحة عطرها، أستمتع بتأمل أغراضها كما تركتها قبل أن ترتبها الخادمة، سريرها، مكتبها، كوب الشاي الأخضر، لم أتجرأ يوماً أن أتدخل في خصوصياتها، يا ترى ماذا يخبئ كل ذلك الهدوء الملائكي يا سوسن؟ أتمنى أن أجول في خاطرك، أن أعرف فيم تفكرين، بم تشعرين، مالذي (أم من الذي) يشغل بالك؟

لم ترد سوسن عليه، ولكنها ابتسمت ابتسامة أزعجتني، ثم عادت إلى مذكراتها، تلك النشامة السمجة المفضوحة من النشيان، التي لا يقدمونها إلا للبنات، والدلال والثقل المفضوح من البنات الذي لا يخفى أبداً على الشباب. لأول مرة أنزعج من سوسن! لأول مرة أشعر أنكم (يا أولاد الإنس) أصبتموني بالعدوى وأصبحت "أغار" "أغار" من إنسي لا يتجاوز عمره ربع عمري اسمه إياد. قاومت الاعتراف بغيرتي من ابن الإنس في البداية، بررت غيرتي على أنها قلق على سوسن من الوقوع في براثن "الأولاد".. وذلك المبرر سوغ لي الاقتراب أكثر من سوسن بحجة حمايتها. وبصراحة، (والكلام موجه لكن يا بنات الإنس) أنسن في حاجة ماسة للحماية والحماية من أولاد هذا الجيل! أتذكر في طفولتي كيف كانت الإنسية ملكة متوجة مصونة، يحميها أبوها وأخوها وقريبها وابن جيرانها وحتى الغريب بدافع النخوة والشهامة والرجولة والدين.. تلك الدوافع معرضة للانقراض في جيل أصبح أبناؤه لا يبالون إلا باللهث خلف غرائزهم على الرغم من هوسهم بقتاوى الحريم والتحریم.

بعيداً عن كل هذا اللغط، وعوداً إلى قصتنا، لم أستمري ذلك المدعو إياد.. لم أبلعه.. لم ينزل لي من زور.. تخيلته واحداً من عشرات الطلبة الذين تعج بهم كلية الطب يتملقون

ويتسامجون مع كل طالبة، يظنون أن رجولتهم اكتملت ولا زالوا يأخذون مصروف البنزين والساندويشات من أيانهم.

اتخذت قراراً بسرعة، ووافقت سوسن إلى الجامعة، لم تنم ليلتها بسبب انهماكها في المذاكرة، ولم أتم نهاري بسبب التفكير والحماس، ذهبت ذلك اليوم مع السائق بسبب اختبارها المبكر، جلست هي في الخلف وجلست إلى جوارها، انهمكت هي في المراجعة، وانهمكت أنا في مشاهدتكم، كانت بالنسبة لي تجربة جديدة، كنت أظن أنني الجنبي الوحيد السهران، ولكنني تقاجأت بكحية الشياطين التي تستيقظ معكم كل صباح، فزحمة الشوارع مسرح للكثير من المعاصي والمصائب، لا أعرف كيف تستحملون هذا البطء، نصف ساعة كاملة في الطريق، أستطيع أن أقطع البحر وأعود في نصف ساعة! وصلنا أخيراً إلى الجامعة، وكما تخيلت، أولاد وبنات الإنس يتخابطون في زوينة التملق والتغنج.. كانت سوسن تحظى بتقدير كبير من زملائها وأساتذتها، كانت ألمع طالبة في الدفعة، استغلت تلك الساعات التي تقضيها زميلاتها في الكياج والإنترنت والأسواق والكافيهات والمكالمات، استغلتها في تحقيق هدف التفوق، لم أستطع تمييز إياد، كنت أمشي خلف سوسن وأتفرس نظرات زملائها، وأقرأ ما يجول

وقيل هذا كله.. شخص تستطيع أن تراه وتلمسه وتتحدث إليه وترتمي بين أحضانه..! لقد تماديت في جنونك يا حوجن، دغ بنت الإنس في حالها..!

رؤيتي لإياد أيقظتني من حماقتي، تركت سوسن في الجامعة وعدت فوراً إلى البيت، جلست بجوار أمي، أراقبها وهي نائمة، ونمت عند قدميها.

لم أنم نومة كهذه منذ فترة طويلة، نومة متواصلة بدون التفكير في سوسن، استيقظت بعد عدة ساعات، عقدت العزم على أن أعرض على والدتي مرة أخرى فكرة الرحيل من هذا المنزل، وقبل أن أفاتحها في الموضوع، لاحظت جلبة في البيت، في غرفة سوسن بالذات، وتلاشت عزيمتي ونفحة العقل التي انتابتني أمام فضولي وعاطفتي. اقتربت من نافذة سوسن فوجدت صديقاتها حولها وهي مستلقية على السرير، فهبت من حديثهن أنها فقدت وعيها أثناء الامتحان! انتفضت وتجرت نحوها لا شعورياً، حمت حولها، ابتسامتك يا سوسن لا تنطلي علي! وإن اقنعت بها صديقاتك وأهلك.. أعلم أنك حزينة.. جداً..! ماذا حصل لك؟ لا أعلم لماذا لمت نفسي

بخواطيرهم، البعض يستلطفها، البعض يستجدي نبوغها، البعض يتسائل لم لا تغطي وجهها بالكياج كصديقاتها وتكتفي بالقليل من الكحل والروج الوردي الذي لا يختلف لونه عن لون شفاهاها.. حتى سمعت أحدهم يهتف من خلفي:

"سوسن كيفك؟ جاهزة للامتحان؟"

عرفت أنه إياد قبل أن ألقت إليه من ابتسامة سوسن له وهزها لرأسها بخجل دون أن تجيب، شاب "كول" بكل ما تحمله الكلمة من معاني في قواميسكم، ليس من الشباب الذين خانتهم أذواقهم فتحولوا إلى مسوخ بالرغم من الملابس التي تسبق الموضة وجل الشعر، ولكنه مع وسامته وتلقائيته وبراعة ملامحه كان يعرف كيف يتحلى بالقدر الكافي من الأثافة. طويل، رياضي، يتعارض لون عينيه العسلي الفاتح مع سمار بشرته، وواضح من هندامه أنه مرفق مادياً، باختصار يعتبر إياد فتى أحلام مثالي وعريس لقطة لأي واحدة من بنات الإنس.

انتظر يا حوجن، ماذا أصابك؟ تقارن نفسك مع إنسي؟! مع فتى يستطيع أن يحقق سعادتها وأحلامها؟ يستطيع أن يتزوجها؟ أن يعيش معها؟ أن يصبح أباً لأبنائها؟..

ردت عليها أريج:

"لو كان قلتي قبل لا تروح المشعوذة حقتنا خلود..
هي اللي تعرف تحضرهم!!"

ضحكت سوسن وهي تقول:

"يخرب عقلك يا أريج.. خايتها مشعوذة؟ حرام عليك!
هذي كلها ألعاب نفسية.. الورقة اللي رسمنا عليها
الأويجي في المطعم عندي تحبي نجرب شوية شعوذة
على قولك؟؟"

هتفت رغد بحماس طفولي:

"إيوه بليز بليز نفسي أجربها.. مرره أكشن!"

ردت عليها سوسن:

"شوفي تلاقينا في الدرج هناك.."

استقلت أريج الفرصة للسخرية:

"شيكلة البوي فريند حقك حنجن وحشك!"

"قصداك حوچن!!"

على تركها في الجامعة، وكأني كنت سأستطيع عمل أي شيء
لها!

قالت أريج لرفيقاتها:

"يللا يا بنات.. سوسن تعبانه ولازم ترتاح.. إحنا
مسخفاها صرنا نص الليل!"

ردت عليها سوسن:

"والله ما تروحوا..! خلونا نسهر مع بعض شويه، بكرة
ما ورانا شيء.. إنتو صدقتوا إني مريضة؟ دا كله
دلع.."

تدخلت أريج بمرح:

"من جد؟ تري نصدق ونقلبها سهرة صباحي.. أنا
نزلت شوية أفلام على كيفك!!"

وافقتها رغد:

"إش رأيكم نلعب لعبة الجن اللي حكيثوني عنها؟ مرة
حماس.. نفسي ألعبها.."

استجابات رغد لسوسن فأرخت من ضغط أصبعها، وتحرك الخاتم أخيراً! حركته باتجاه (نعم).. وظللت أتراقص عليها من فرحتي وحماسي..

رفعت رغد إصبعها عن الخاتم مذهولة مذعورة:

"إنتوا بتحركوه! احلفوا إنكم ما بتحركوه!"

فصرخت فيها أريج:

"يخرب بيتك! خطي صباغك بسرعة لا تنكس كلنا، يلا..!"

وضعت رغد إصبعها.. ولم أستطع مقاومة المبادرة بالحديث مع سوسن..

"س ل ا م ت ك"

قرأتها بذهول، لم تفتح إحداهن فمها، فمزقتُ أنا الصمت بصوت تحرك الخاتم على الورقة:

"س ل ا م ت ك ي ا س و س ن"

قالتها سوسن بضحكة أذابتني، لقد تذكرتني! ولكن.. هل أكلمين الآن؟ ماذا أقول؟ يجب أن أرتب أفكاري.. لم يمهلنني الوقت الكافي للألم ارتباككي.. ففردن الورقة على السرير.. وخلعت أريج خاتمها وهي تقول:

"سامحني يا لؤي.. مضطرة أدنبشك مرة ثانية!"

وضع البنات أصابعهن على الخاتم.. فوق الورقة.. وقادت سوسن الحديث هذه المرة:

"فيه أحد؟.. فيه أحد؟"

هرعتُ إلى الخاتم.. وضعت يدي عليه.. حاولت تحريكه.. ولم يحدث شيء.. واصلت سوسن:

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

فهمست أريج:

"يمكن نايمين؟"

"رغد لا تضغطي بقوة.. يادوب لس.."

فرغت إلى (نعم) وحمت عليها طرباً.. فقد سمعت اسمي منها
مرة أخرى! فتدخلت أريج برزالتها المعتادة:

"هم الجن انقروضوا وما بقي غيرك؟ هذا شكله قريبك
يا سوسن.."

سألتني رغد:

"إنت قين عايش؟"

عايش قين؟ هل أرب سوسن بالإجابة؟ لن أجروا!

"أ ل ح و ش"

"قي الحوش؟ هنا قني بيتنا؟"

"(نعم)"

حللت أريج الموقف بطريقتها:

"شكلك عجبتني في الكافيه فرج معاكلي وقرر يعيش
في بيتكم!"

"(لا) ه ن ا .. م ن .. ز م ا ن"

ابتسمت سوسن وهي تقول..

"الله يسلمك.. بس عرفنا بنفسك.."

قاطعتها رغد:

"تعرف كم حاجيب في الاختبار؟"

قاطعتها سوسن:

"محد يعلم الغيب إلا الله!"

قالتها وأنا أتحرك على الورقة نحو: (لا)!

أعادت سوسن سؤالها:

"إش اسمك؟"

أسرعت الزحف:

"ح"

قاطعتني سوسن:

"خوجن!"

سالتني أريج:

"استنتي شويه.. انت مو قلت لنا عمرك تسعين سنه؟
أمك عايشه؟ وكم ان جدك؟؟ جدك كم عمره؟ ألفين
سنه؟"

"420"

وتطقت سوسن أخيراً:

"إننو مسلمين؟"

"(نعم)"

وسالتني رغد أكثر الأسئلة إخراجاً:

"تحب مين فينا أكثر؟"

تحركت بالخاتم باتجاه سوسن.. حتى خرج عن الورقة وسقط
في حجرها.. لا أعلم إن كان ذلك أسعدها أم أفزعها.. أعادت
سوسن الخاتم ببطء.. وأكدت رغد سؤالها:

"تحب سوسن أكثر؟"

"معقول؟ طيب اش جابك معنا الكافية؟"

قالتها سوسن.. فأجبتها:

"ف ض و ل"

علقت أريج مرة أخرى:

"ياسيدي يا سيدي.. والله جنني تحفة! قللك مطبخ
عندك ما صدقتيني!"

قاطعتها رغد بفضول:

"خلوني أسأله: أحد عايش معاك هنا؟"

"(نعم).. أم ي.. ج دي"

"أمك وجدك بس؟ ماقيش جن وغاريت غيركم؟"

"(لا)"

ماذا فعلت؟ يا لحماقتي!! اعترفت للقو بحبي لسوسن، وغيرتي من إياد! لقد تسببت بالرعب لهذه المسكينة! أعتقد أن هذا يكفي..! توجهت بالخاتم لأختم هذه اللعبة وحملت على (مع السلامة.. فقالت سوسن بوجودي:

"مع السلامة.."

وتوقف الخاتم، وخرجت من الغرفة مسرعا، وكأني أخشى أن ترى سوسن تعابير وجهي، لا أعرف لماذا ظلت تحديق في النافذة حتى بعدما خرجت، لقد تماذيت بالفعل! تجاوزت كل الحدود، أشعر بالحنق من طيشي وغبائي..! ولكنني أعترف أن بداخلي لذة لم أشعر بها من قبل، لذة إعلام سوسن بوجودي بقربها، ويأثني أكن لها مشاعر خاصة، واعترافي بغيرتي عليها، لقد صنعت لنفسني وجوداً في حياتها، ويكفييني هذا!

خرجت من شباك سوسن بمشاعري المتلاطمة، لأفاجأ بوالدي تقف أمامي في الحوش وجميع تعابير الحزن والغضب على وجهها..

"عصيتني يا حوجن! عصيتني!"

ظللت أحوم حول (نعم) ثم تحركت للسؤال عن سوسن:

"س و س ن .. ك ي ف ك"

أجابتنني سوسن بضحكة خفيفة:

"أنا بخير"

قالت أريج:

"ياختي عليه الجنني حقلك مروره جننلا!"

استمرت أسئلة رغد الفضولية:

"طب.. تكره مين فينا أكثر؟"

بدون تفكير حركت الخاتم على الورقة:

"إ ي ا د"

سألتني سوسن:

"إياد؟ إنت تعرف إياد؟"

"(نعم)"

وتلاشت قبل أن تعطيني فرصة للحديث، وحتى لو أعطتني
الفرصة، لم أكن لأجد كلاماً يبرر عصياني لأمرها لي بالابتعاد
عن سويسرا..

(5)

زعماء اللعين!

مرت تلك الفترة ثقيلة عصبية.. أمي لا تكلمني.. ولا أقترّب من
سوسن، حياتي بين البيت والعمل، أقبل رأس أمي كل يوم ولا
تنظر إلي.. أنا متأكد أن طيبة قلبها ستغلب على زعلها في
النهاية.. ولكن هناك من أنهى ذلك الزعل بشكل أسرع، ففقي
ذات يوم عدت من الدوام وكعادتي ذهبت لأقبل رأس والدتي،
ولكنني وجدتّها واجمة.. سألتها:

"أمي؟ حصل شيء؟"

لم تجبني، ولم تتزحزح تعابيرها فأعدت سؤالاً:

"أمي؟ إيش فيك؟ جدي حصل له شيء؟"

أجابتنني باقتضاب يحمل الكثير من القلق:

"زُعمام.."

"زُعمام؟ ولد عمي سنوطل؟ إيش به؟"

"زُعمام ابن عمك كان هنا! سأل عنك.. وسأل عن

جدك!!"

زُعمام؟ وماذا يريد مني هذا اللعين؟ زُعمام هذا أخبث أبناء

عمي..

تخلصت من قبضته والتفتت عليه:

"لو جيت سيرة أبويه رح أقتلك يا نجس!"

ألقي بي بعيداً بكل سهولة واقترب مني وهو يقول:

"أنا برضه رح أكون أحسن منك.. وما يرد عليك، مع

إنه بإمكانني أطيرك لمكان ماحد يدري عنه!"

"إنت صرت مارد صبح؟"

"على وشك.. أنا رح أصير عفريت بمساعدتك، وطبعاً

مو ببلاش.. كله بحقه!"

العفريت هو الجنى الذي يملك قوى فيزيائية مادية، فيستطيع

التحكم بكل شئ ويستطيع التشكل، وإذا كان العفريت

شيطانياً في الأصل فيسمى مارد! وهم درجات.. وطبعاً المارد

الأقوى يستطيع القيام بأمر أصعب وبالتالي يجني الكثير

من الأموال!

أحسست بثقل العالم كله على بطني و زعنم يدوس علي

ببرود، يكتم أنفاسي ويتابع دون أن ينظر إلي، كان يتطلع إلى

نافذة سوسن وهو يقول بكل برود:

شيطان متمرس في خدمة المشعوذين والكهنة وعبد إيليس!

يعيش حياة مقرفة، ولا يبالي بأحد.. إلا نفسه! ماذا يريد مني

يا ترى؟ انتزعني أمي من شرودي وقالت:

"بيغاك تروح له ضروري!"

"أنا أروح له؟ مستحيل أطلب قماش بعد اللي حصل

لأبويه.. أصلاً ما بيني وبينه أي شئ.."

تجاهلت موضوع زعنم، تكفيتني همومي.. لكن على الأقل جعل

أمي تخرج من غضبها وصمتها وتكلمني، مرت بضعة أيام

روتينية ومملة.. حتى جاء يوم وتفاجأت بقط أسود ينتظرني في

الحوش، هجم علي قبل أن أستوعب وتحول لابن عمي.. زعنم:

"تشغل علي يا ولد المطوع؟ تحسبني ما أقدر أوصل

لك؟"

"زعنم؟ إيش جابك؟ امش تبغى مني؟"

"إخص عليك! هذي مقابلة تقابل بها ولد عمك؟ كذا

رباك أبوك؟"

سعادتها وسعادتك.. تخيل تعيش معها حياة حقيقية، وماحد يدري إنك جنني، وتحقق لها كل اللي تتمناه، وتعيش معها أروع قصة حب.."

بصراحة كلام زعنام أيقظ أحلامي ولكني متأكد أن هذا اللعين يخبي مصيبة! فقلت له محاولاً إخفاء انفعالاتي:
"والمطلوب مقابل هذا العرض المغري؟"

لم يتردد زعنام فقال وبكل وقاحة:

"دم إلياسين جدك!"

لا أتذكر تفاصيل ما حدث بعدها فقد ماجت بي الأرض ودخلت مع زعنام في عراك يائس غير متكافئ! لا أذكر منه سوى غضبي العارم وإصاباتي التي تركت أثارها الدائمة علي وكلمات زعنام الذي أبقي على حياتي لأنه يحتاجني لغرضه الدنيء.. وتلاعب بنقطة ضعفي الوحيدة: سوسن! قال لي وهو يطير مبتعداً ببطء:

"ياغبي جدك ما بقيه عمر يعيشه.. الموت أريج له من عذاب المرض، جدك من آل النفر.. تعرف إيش

"ما علموك أسيادك البشر ان الحب أعمى؟ وأنه لأجل الحب لا بد من التضحيات؟"

عرفت أنه يلمح لعلاقتي بسوسن، فحاولت أن أتلمس منه وأنا أقول:

"إياك أن.."

ولكنه زاد من ضغطه وكنم أنفاسي وهو يقول:

"لا تكثر كلام يا مستأنس! باختصار يا تضحي عشان سوسن.. يا تضحي بسوسن!"

أزاح قدمه لالنفط بعض أنفاسي وهو يقول..

"لا تخاف.. التضحية بسيطة جداً وما بتكلفك أي شيء! روح تعيش مع سوسن على إنك بشر من شحم ولحم وبالشكل اللي تتمناه سوسن، رح تصير فارس أحلامها الحقيقي! مو الوهمي الهلامي اللي ما يقدر يحميها ولا حتى يلمسها أو يكلمها.. سوسن إنسية، والإنس أكثر شئ يهتمهم غرائزهم، يعني أتفه بني آدم ممكن يسعد سوسن أكثر منك! أنا عندي مفتاح

نراكم كما نرى فيلماً قصيراً يعرض بالحركة السريعة.. لا تتفاجأوا إذا قلت لكم أنني عندما ولدت كانت حياتكم لا تختلف عما كانت عليه قبل آلاف السنين فلم يكن هناك تلفزيون ولا راديو ولا سيارات ولا طائرات ولا كهرباء.. كنتم مازلتُم تنقلون على الجمال والحمير، حريكم العالمية الأولى قامت بعد ولادتي، وفي الحرب العالمية الثانية مرت بطائراتكم وهي تقصف بعضها وتتساقط كالجراد أثناء عودتي مع والدي عن زيارته للإمبراطورية (جزر اللعين) قبل أن يتفارق الخلاف بينه وبين أعمامي.. كل الإنس الذين أعرفهم في عمري ماتوا، وأحفادهم بالنسبة لي عجائز.. كل هذا في أقل من قرن.. فتخيلوا ما الذي سأحكيه لأحفاد أحفاد أحفادكم عندما أصبح في عمر جدي! لقد شهد جدي إلياسين حقبة من تاريخكم، لقد كانت حياته مرتبطة بكم إلى حد كبير جداً، فقد ولد في مدائن (كانت إحدى أعظم بلداننا في شمال البحر الأحمر) وذلك بعد أن انتقل جده إلى تلك المنطقة لنشر تعاليم الدين الإسلامي، لكم أن تتخيلوا، فقد عاش جدي ثلث التاريخ الإسلامي بأكمله، والد جده كان من النفر الذين تلقوا القرآن مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم!

ممكّن نحقق بدم آل النفر؟ كل أحلامنا بنحققها بسهولة.. نصير عفاريت.. نقدر نسوي أي شيء.. ويعدين لا تنسى أصلك! لا تنسى إنه جدك اللي تدافع عنه هو اللي حرض أبوك على أهله! هو اللي خلا أبوك يتمرد على أجدادك ويعيش ويموت زي الشحاذ بين المستأنسين!"

قلت له وأنا أتألم من كل جزء في جسمي:

"يعني إنت فخور بموتة أبوك؟ لقي عذاب الدنيا قبل الآخرة ونسفه الشهاب وهو في أقدر عمل!"

لم يعلق زعمام على ما قلته واكتفى بالابتسام واختفى في لحظة وتركني في حالة من الرعب والذهول.

لم أستطع الذهاب لعملي ذلك المساء، أقعدتني آلامي وهمومي. مكثت جوار جدي إلياسين، الذي كافح لخمسة قرون، لا يمكنكم (أيها الإنس) تخيل وتيرة الأحداث التي تمر بها نحن الجن، فحياتكم مقارنة بحياتنا قصيرة جداً وأحداثها متسارعة، بالرغم من أننا أسرع منكم في التنقل إلا أن عامل الوقت بالنسبة لنا لا يشكل نفس الهاجس بالنسبة لكم..

طافت بي كل تلك الخواطر وأنا جالس أمام جدي أتأمله، كان مستلقياً كعادته، لا يتحرك فيه سوى شفاته.. تتمتان بالذکر الذي لا ينقطع.. كان ينظر إلي من الفينة للأخرى نظرات اخترقنتني، وكأنه يعرف ما أفكر فيه. كنت أتمنى أن أستشيريه ليخلصني من زعمام، ولكنني بالطبع لن أجرؤ أن أخبره بذلك! لا يستطيع زعمام أن يضر جدي بشكل مباشر، فوالدتي تخصصه بشكل دائم، كما أن جريمة كهذه قد تقوم بسببها حرب طاحنة بين العائلتين، لذلك جئني لأعونه على تدبير قتله بحيلة لا تثير الشبهات.. هذا الموقف جعلني أكره نفسي، فهاأنذا أعرض جدي ووالدتي وأعرض سوسن لأكبر خطر بسبب حماقتي، بكيث وقتها، لا أذكر أنني بكيث هكذا من قبل، أحسست بيد جدي تمسح على رأسي، لأول مرة من سنين ويشير إلى السماء وهو يبتسم. وشفاته لازالتا تتمتان..

(6)

انتقام أمي

أعتقد أن والدتي يُست من الحديث معي بخصوص سوسن،
أما أنا فأعترف أنني أخلفت وعدي لها بجدارة، فلم أستطع
(بسبب حماقتي واندفاعي خلف عواطفني) أن أضع حداً لهذا
الوضع، بل بالعكس، أصبحت مهووساً أكثر بسوسن.
أصبحت أفكر ليل نهار في التقرب منها، في إيجاد وسيلة
للتحدث إليها وإمضاء الوقت معها. أما والدتي فقد أثار
موقفني في نظرتها للبشر ولعائلة الدكتور عبدالرحيم بالذات.
لقد أصبحت تمتنع عن تناول الباقي من طعامهم، وصعدت
للسكن مع جدي في سطح المنزل لتتجاشى رؤيتهم. ليس ذلك
فحسب، بل بلغ بها كرهها لهم أن كانت أن تقضي وجودنا
لتنفرهم من البيت! لا أنسى تلك الليلة عندما عزمت سوسن
صديقاتها وأقامت حفل دي جي في سطح البيت. عدت فجراً
إلى البيت لأسمع الموسيقى المصاحبة قبل أن أصل للبيت،
وسمعت صوت والدتي تصرخ. انطلقت مباشرة للسطح لأرى
سوسن وصديقاتها يرقصن على أغاني الدي جي ووالدتي
بجوار جدي في ركن السطح تصرخ:

"خلالاً خلالاً خلالاً..."

ردت علي بانفعال ودموعها ما زالت تنهمر:

"يعني اللي يسووه فينا حلال؟ شايف كيف صار
حالنا؟ شايف وضع جدك كيف يتدهور؟ شايف
تصرفاتك؟ يعني كل هذا يرضي الله؟!"

حاولت احتضانها وامتصاص غضبها، ولكنها أشاحت عني.
أعلم أنها ندمت على ما فعلته في قرارة نفسها، ولكن كيف
استرضيها.. لقد كان قلبي يتقطع من حزنها وخوفي على
جدي ولهفتي على سوسن!

ستتولى الأيام تهديتها، وستعود المياه إلى مجاريها. أمي وأنا
أعرفها. أتمنى أن لا تكون هذه محاولة بائسة مني لتهدئة
نفسي. قلقي لم يسمح لي ولا حتى بغفوة، ودفعني في صباح
اليوم التالي إلى التمرکز بجوار سوسن لأعرف ردة فعلها وفعل
أسرتها وأصدقائها لما حصل. وكانت ردود الأفعال تلك
متباينة لأبعد حد، فالدكتور عبدالرحيم يصر على أنه حادث
عارض والتماس كهربائي عادي، لا أدري إن كان ذلك بسبب
هدوئه وحكمته، أم لأنه لا يستطيع أن يستوعب أن بيت أحلامه
الذي تقسّمت عظامه قبل أن يمتلكه قد أمسى مسكوناً
بالغفاريات. أما صديقات سوسن فقد بالغن في تهويل الموقف

وفجأة توجهت أضواء الحفلة واحترقت دفعة واحدة بفرقة
مكتومة، ومع صوت احتراق الإضاءة وذلك الصوت المدوي في
سماعات الذي جني الذي أعقبه صوت صفيح حاد بسبب
المايكروفون..

ومع النيران التي اشتعلت في جزء منها.. تحولت نشوة البنات
العارمة إلى حالة من الرعب والصراخ وسوسن تحاول
تهدئتهن، وهرع الدكتور عبدالرحيم وهكأن للسطح إثر
الصراخ..

لا أصدق أن والدي فعلت ذلك، لم أكن أعلم أن لديها تلك
القدرة! لقد رأيتهما تبكي بحرقة وبغضب بعد أن تبعثرت الحفلة
وغادر الجميع. قلت لها:

"إيش سويتني يا أمي..؟!"

انغلاق باب السطح خلفي بعنف وأصدر دويّاً مزعجاً، وكان
ذلك رديها.

"أمي.. إنت عارفه إنه تطفيش الإنس من بيوتهم
حرام.. ما يرضي الله!"

"أمي إيش فيلك؟ تعبانه من شئ؟"

"أسكت وتعال وراي!"

وجدت نفسي بعد دقائق وقد ابتعدت عن معالم المدينة إلى سفح جبل لا يسكنه إنس ولا حتى جن، فجلست أمي جوار آثار لمجرى مائي من الواضح أنه لا يذوق طعم الماء سوى لأيام معدودة في موسم الأمطار ثم يعود لصيامه.. جلست أمي تحت صخرة من صخور الجبل وبدأت تحرك يدها على الرمال..

"أمي أنا عارف إنك زعلانه مني بس والله ما كان..."

صدمت عندما رأيت الرمال تتحرك تحت أناملها، فنحن لا نستطيع التفاعل مع عالمكم بشكل مباشر، لا أعرف كيف يمكنني تبسيط الموضوع لكم، ولكن نحن لنا عالم مواز لعالمكم بنافذة من جهة واحدة، حيث نراكم ونسمعكم ونتفاعل بشكل محدود مع عالمكم في الوقت الذي لا تستطيعون أن تشعروا بأي شئ في عالمنا، أعدكم بأنني سأشرح لكم ذلك بمزيد من التفصيل لاحقاً ولكن دعونا الآن نعود إلى أمي، فيدون أن تتطلق بكلمة أرادت أن تخبرني بأنها عفريته، أو بأنها تملك

وأصفن إليه الكثير من البهارات وربطته بما حصل من قبل أثناء لعبهن للويجا وراحت بينهن قصص منزل سوسن المسكون وتلبس سوسن بالجان. حتى سوسن نفسها بدأت تقتنع بأنها محاصرة بالجان الذين يريدون إيذاها.

مر يومان، وإذا بالدكتور عبد الرحيم يأتي ويرفقته شيخ ما لبث أن بدأ يقرأ بآيات من القرآن الكريم وينفث الماء في أركان المنزل وبالأذات في السطح، المنى منظر أمي وهي تبكي بجوار جدي، هل يعقل؟ شيخ من علماء آل النفر يتعوذون منه كما يتعوذون من الشياطين وينفثون عليه الماء..! كادت أمي من مرارتها وغضبها أن تغلق باب السطح بشدة بعد خروجهم ولكن جدي نهرها بنظرة صارمة، همت بالانصراف، فوجدني يلهب جراح أمي المسكينة وحساسيتها تجاه الإنس، ولكنها نادتنني، تفاجأت فلم أتوقع أن تكلمني أمي ببساطة بعد كل ما سببته لها:

"أبغاك يا حوجن لا تروح!"

سبقتني إلى الباب، فتبعته ونزلت حتى خرجت من البيت وأنا أتبعها دون أن ينطق أحدا بكلمة. أسرعت أمي الخطا، فأصبت بالقلق عليها:

نشوف جنس البشر إلا من بعيد لما يمشوا المسافرين
في الوادي. في ذاك اليوم كان السيل قوي، وسحب
الحجرة اللي كنت واقفة عليها وسحبني معها، وشفت
الموت بعيني!"

"بعيد الشر عنك يا أمي.."

تابعت وكأني غير موجود أمامها.. وكأنها تعيد شريط تلك
الأحداث أمام عينيها التي أمطرت بدورها بالرغم من ابتسامتها
وهي تقول:

"فتحت عيني لقيت أبوك.. ما أدري وقتها فرحت
عشان انكتب لي عمر جديد، وللا اترعبت لأنني تحت
رحمة مارد! إيوه أبوك كان ماردًا أخطر من أخوانه
كلهم! أبوك كان شيخ المردة بعد ما مات جدك، كان
يقدر بسهولة يقدمني للمذبح من غير ما يدري أحد
من أهلي ويحسبوني انجرفت في السيل.. أنا السبب
في إنه أبوك تمرد على أعمامك وعلى قبيلتكم كلها!
ضحى بكل شي عشانني! ترك منصبه وعالم المردة
والشعوذة وحارب الدنيا كلها عشان يعيش معاها..
يادوب نحصل قوت يومنا"

بعض قدرات العفاريت، وهذه خاصية لا يمتلكها إلا عدد
محدود من كبار الحجان، ولا أعرف طريقة لاكتسابها سوى
بالتعاون مع مردة الشياطين الذين يفرضون شروطاً تعجيزية
لتحقيق ذلك الطلب الشاق والذي يفقد الكثير من الجن
أرواحهم قبل حتى أن يبلغوه..

قاطعت أمي حبل أفكاري قائلة:

"أنا ماني عفريتة.. بس أبوك قبل لا يموت علمني
أحمي نفسي من الإنس.."

سبحت ببصرها في أنحاء الوادي واكتست ثوبتها حديثاً وهي
تقول:

"هنا قابلت أبوك أول مرة.. مية سنة مرت زي
الطيف.."

أصغيت إليها، أعتقد بأنها ستكشف لي تفاصيل قصة
ارتباطها بوالدي التي أخفتها عني طوال السنين الماضية..

"كانت قريتنا ورا الجبل، وكنت أحب أجي هنا لوحدي
يوم السيل ألعب وأفرج، حياتنا كانت بسيطة، ما كنا

إش الفرق بينك وبين أبوك يا حوجن؟ أبوك حبني بشهامة.. وإنت بتحب الإنسية بنذالة. أبوك أمن لمن حبني.. وإنت الإنسية رح تكفرك!

وماذا عساني أن أجيبها؟ هذه أقسى كلمات سمعتها من أمي في حياتي..

"حوجن.. أدفني هنا!"

"هاه؟"

"وصيتي تدفني هنا لمن أموت يا حوجن! لمن أموت أدفني هنا.. عند هذا الشجر.. جنب أبوك."

"أبوي مدفون هنا؟ طيب قبر مين اللي بأزوره من ثلاثين سنة؟"

"لو أعصاك عرفوا مكان قبره كان أخذوه ودفنوه عندهم، عشان كذا محد يعرف مكان قبره الحقيقي غيري، حتى جدك ما يدري. أنا دفنته هنا."

اقشعر بدني وأنا أراها تجثو على ركبتيها في مكان من الواضح أنها تحفظه عن ظهر قلب، وبدأت بالنحيب..

هذه صدمة لا أقدر على استيعابها! والدي كبير المردة! وحارب أهله من أجل عشقه لأمي! تابعت أمي وهي تمشي في بطن الوادي والهواء يثير الغبار إثرها..

"أبوك مافي زيه، تعرف كم واحد من النفر تقدم لي وجدك رفض؟ وزوجني لأبوك! عشان كذا آل النفر هجروا جدك! قالوا له كيف ترفضنا وتزوج بنتك لشيطان مارد؟ كان يقول لهم هذا المارد تاب توبه تخليه أقرب لله منا إحنا!"

توقفت أمي فجأة والتفتت إلي:

"إنت اللي باقي لي من ريحة أبوك، كاني شايفاه قدامي! حتى في طيشك وجنونك وعواطفك، بس لازم تعرف شئ مهم: الحب خلى أبوك يضحي بعالم الكفر والمناصب وبأهله كلهم عشان يحافظ علي، وإنت الحب بيخليك تضحي بأهلك ونفسك وحبيبتك كمان عشان طيشك، ولا رح تقدر تعيش مع بنت الإنس ولا تحميها ورح تضيع مستقبلها! قل لي كيف تقدر تتواصل معاها؟ وللا ناري تكفر وتعيش في قماح عشان الشياطين يخطفوها لك وتضمن جهنم؟ تعرف

لاحظت أُمي وجوده فافتربت منه وحاول هو محاولة فاشلة لإخفاء خوفه منها خلف ابتسامته الساخرة.. قالت له:

"إش عندك يا ولد سنوطل؟!"

"كيف عرفتيني يا بنت النفري؟"

"عمك علمني أشياء كثير.. ما تخطر على بالك!"

تحرك بسرعة خلف صندوق النفايات وخرج من الجهة الأخرى وهو بهيئته الأصلية، لقد فهم مغزى أُمي، فهي قادرة على قتله بسهولة وهو متشكك، فالتشكك لا يقدر إلا على فعل الأشياء التي يقدر على فعلها الجسد الذي تشكل به، إلا لو كان عفريتاً أو مارداً بالطبع، لذلك يفضل المتشككون التحول إلى أنعمي أو قط أو كلب كل على حسب قدراته، وهذه حيوانات غير معرضة للاقتراس وبالتالي تقل المخاطرة.. ويفضلون اللون الأسود لأنه الأسهل ولأنه يثير الرهبة فينفّر منهم الناس. إذا أردتم أن تعرفوا الجني المتشكك فانظروا في عينيه مباشرة، فنظرة الجني تختلف عن نظرة الحيوان العادي ويمكنكم تمييزها. نعود إلى زعمام الذي عاد إلى هيئته خوفاً من أُمي التي شك في كونها عفريته:

"آآه يا ميخال.. ليه سبتني ورحت؟ آآه يا ليت يومي كان قبل يومك! ليتني أموت بحين وأرتاح من الدنيا وهمّها!"

"يا أُمي قولي لا إله إلا الله.. خلاص أنسي موضوع الإنس، نشيل أغراضنا ونعيش في أي مكان.."

"ربي يصبرني على فراقك وعلى الدنيا من بعدك يا ميخال.."

بثرت نحيبها فجأة واعتدلت:

"جدك! ما نقدر نسييه لوحدك كل هذا الوقت.."

أسرعت عائدة إلى البيت وكأن حدسها نبأها بأن جدي في خطر، وأسرعت خلفها. وعند برميل النفايات بقرب القبلا رأته! رأيت زعمام. قط أسود تفوح نظراته خبثاً وسخرية، أعرف ما يصبو إليه، كنت أتمنى أن أقصل عنقه عن جسده، ولكنني لا أستطيع لمسه وهو متشكك في عالمكم.

خوبن

لأول مرة أسمع أمي تدافع عن أسرة الدكتور عبدالرحيم وهي تقول:

"كذبت يا نجس! أهل هذا البيت أنظف منك ومن سحارك!"

"كل هذي الثقة الزائدة في الإنس؟ من جد ضحكيني، بكرة تشوفي بنفسك! وساعتها محد يقدر يمنعني أدخل البيت لو أصحابه هم اللي طلبوني."

ثم بالمغادرة والتفت إلي ليلقي بعبارة القنطرة:

"لا تنسى يا ولد عمي، لو احتجت أي خدمة مع الإنسية أنا تحت أمرك!"

قالها ليفجر التوتر بيني وبين أمي وانصرف اللعين.

صعدنا بسرعة إلى جدي لنطمئن عليه، وعندما وجدته نائماً تركت أمي عنده وفزلت إلى غرفتي في الحديقة، أحاول ترتيب أفكارني واستيعاب ما سمعته وشاهدته اليوم.

إبراهيم عباس

"سمعت إنه فيه هنا بيت مسكون بالعفاريت، قلت أحبي أسأل بكم الإيجار.."

انقضضت عليه لسخريته الفجة من أمي التي أراحتني وأنا أحاول القبض على عنقه:

"احترم نفسك يا نجس! أنا قلت لك رح أقتلك لو قررت هنا مرة ثانية!"

أعتقد أنه تحاشى الاصطدام بي خشية من أن يرديه أنا وأمي ولكنه استمر في سخريته قائلاً:

"عيب يا ولدا لما الكبار يتناقشوا.. المراهقين يقعدوا ساكتين.. خليك إنت في حبيبة القلب!"

كانت أمي محافظة على هدونها وصرامتها وهي تقول:

"ياقول إيش عندك يا ولد سنوطل؟!"

"أنا جاي هنا في بزنس خاص، فيه مشروع لساحر انطلب مني في هذا البيت."

(7)

سوسن والسرطان

دعت سوسن صديقاتها في تلك الليلة، ربما لتثبت لهم أن بيتها
خالٍ تماماً من العفريت، كانت عزومة محدودة لم تتجاوز
البضع فتيات قضين معظم الوقت في غرفة سوسن، وكان
يتحاشين الخوض في مواضيع الجن خشية أن يجرحن
مشاعر سوسن، أو رعباً من أن يطلع لهم العفريت من خلف
الستارة، مع أن الفضول كاد أن يفضح بعضهن، ولكن
سوسن، وبكل شجاعة فتحت الموضوع، وكأنها تعالج الإشاعات
بالبتر:

"بنات.. أنا قررت أسأل الجن إيش اللي زعلهم مننا
ذاك اليوم"

فهمت أريج مغزاهما فأرادت أن تجنب سوسن الإخراج وتجنب
نفسها الرعب:

"سوسن، ماله أي داعي، خلاص شغلوا شريط سورة
البقرة وتنحل المشكلة.."

لم تسمح لها خلود بتضييع فرصة تلك المواجهة فقاطعتها:

"نعم"

همت خلود بالبدء في طرح أسئلتها، ولكنني لم أمهلها لتقاطع
حديثي مع سوسن:

"س ا م ح ي ن ي"

"ليه سويت كذا؟ إحنا أذيناك في شي؟"

"م ش.. أن ا"

لم تستطع خلود كبت فضولها فسألتني:

"فيه جن غيركم في البيت؟ فيه شياطين؟"

"أ"

"ج د ي ت ع ب ا ن"

"أ م ي ز ع ل ت"

"م ا ك ا ن ق ي ص د ه ا"

شعرت سوسن بشيء من الطمأنينة، وردت علي بكل حنان:

"سامحنا، حقا علينا، وأتأسف لنا من أمك وجدك"

"لو ما كانوا جن كويسين كان انيسطوا معنا في
الذي جيا أكيد فيه سبب.. الحل الوحيد إننا
نواجههم سوسن جيبني ورقة من الطابعة.."

وبدأت خلود فوراً في رسم لوحة الوبغا.. مع تدمر أريج وتوتر
باقي البنات. لا أدري لماذا أحسست بتلك اللذة الخفيفة
بالرغم من كل ذلك التوتر الذي كان يمتلئني أنا أيضاً.. هل
لأنني سأكلم سوسن مرة أخرى؟ ولكنني لم أرتب أموري، ماذا
أقول؟ هل أستغل الفرصة وأعترف لها بعشقي المجنون؟
سيرعيتها ذلك بالتأكيد!!.. ومرة أخرى لم يمهلني البنات لأفكر
فبدأن..

"فيه أحد؟ فيه أحد؟"

أعلم أنني لو لم أجب فسيتوقفن..

"و ح ش ت ي ن ي"

يا إلهي ماذا فعلت؟! لم أستطع أن أقاوم الفرصة! وأصيب
الموقف كله بالشلل قبل أن تعيد فيه سوسن الحياة وهي تقول:

"حوجن"

رفعت سوسن إصبعها فتوقفت قطعة البلاستيك كالحجر، بالرغم من أنني كنت أحاول جاهداً، فلو نجحت التجربة سأتمكن من الحديث مع سوسن دون الحاجة إلى تجمع صديقاتها..

"خلود خليتي أنا أجرب لوحدي، بما إنه حوجن قلقان علي أنا يمكن ما يبغي يكلم أحد غيري على انفراد؟"

ووضعت سوسن إصبعها على قطعة البلاستيك وقالت:

"حوجن إنت موجود؟ تقدر ترد علي؟"

حاولت جاهداً.. أحرك يدي على القطعة ولكن لا شيء يحصل، أتمنى أن تنجح روحها في استشعار حركتي ودفع قطعة البلاستيك معي، في العادة روح واحد لا تكفي للشعور بنا، لذا فإن حركتها دائماً تكون أسهل عندما يزداد العدد..

حاولت وحاولت، هاهي كلمة "نعم" لا يفصلها عني شيء.. انغمضت سوسن عينيها لتستجمع تركيزها، وتحركت القطعة أخيراً نحو "نعم" فاندفع الجميع وعلى رأسهم أريج:

"سوسن حرام عليك من أول بتحريكها وسابقة علينا قصص الغرام مع الجن؟ أنا انشأيت من الرعب!"

"ك ي ف.. ح ا ل ل؟"

لم تفوت أريج فرصة الرزالة فعلمت قائلة:

"ياسيدي ياسيدي!! الجنى حلق غرقان، ايئس رأيكم نسبهم اليجا عشان ياخذو راحتهم؟"

وتركت أريج قطعة البلاستيك فأصبحت حركتها غاية في الثقل، ولكن ما لبثت أن عادة لسلاستها، فأحببت أن ألطف الأجواء، وأتقرب أكثر من سوسن:

"ق ل ق ت.. ع ل ي ك"

"ل ا.. ت خ ا ف ي"

"أ ن ا.. م و ج و د"

لاحظت خلود حركة القطعة البلاستيكية بالرغم من أن أريج تركتها، فقالت:

"والله فكرة يبخالنا نجرب شخص واحد يحركها، سوسن شيلي صباك خليتي أحاول أحركها لوحدي.."

"والله ما حركتها في تحركت!.. حوجن إنت هنا؟"

"نعم"

"أنا.. ب أ ح ر ك ه ا"

"س و س ن"

"أ ب غ ا.. أ ت ط م ن.. غ ل ي ك"

"لا تخاف أنا كويسه وزى العمال، والحمد لله إنه اتصافينا وانتهت المشكلة"

"أ ب غ ا.. أ ك ل م ك.. د ا ي م ا"

ساد صمت مغلف برعب، فاستدركت كي أطمئنتها:

"ال.. ت غ ا ف ي.. أن.. م س ل م.. أ خ ا ف..
ر ب ي"

وطمأننتني سوسن بدورها:

"كيف أخاف من جاري؟ حاكلك كل ما ألاقى فرصة"

تراحمت الأفكار والعبارات في ذهني، وكأنني لم أصدق أنني أتحدث مع سوسن.. سوسن فقط! وبدأت أحرك إصبعي على اللوح بتوتر بالرغم من أن قطعة البلاستيك لم تستجب لذلك التوتر واستمرت في انسيابها السلس البطيء.. فازداد توتري وكأنني أخشى أن تتبخر أفكاري قبل أن أبوح بها.. وكأنني أخشى أن لا تتاح لي فرصة الحديث مع سوسن على انفراد مرة أخرى!

"ب ك رة.. م ا.. غ ن د ك.. م ح ا ض ر ا ت..
ص ح؟"

كذت على يقين أن أريج سيتطفل، ولكن تطفلها كان في مصلحتي هذه المرة:

"لا لا لا نس إز تووو متش! خلونا نمشي يا بنات قبل
لا حمنجن يسلط علينا العفاريت يكرشونا من هنا!"

احمرت وجنتا سوسن خجلاً وأرتبكت وهي تقول:

"أريج بطلتي بياخة..!"

فحسنت خلود الموقف لصالحني وهي تقول:

"أنا سواقني وصل من أول، لازم أمشي.."

وتبعتها أريج وهي تخاطبني بصوت مرتفع وتنظر لسقف الغرفة:

"حمنجن.. بليز نقل سوسن نتايح امتحاناتنا.."

وأوعدك أشبكك مع كل بنات الإنس!"

بادر البنات بالانصراف وهمت سوسن بمتابعتهم لتوصيلهم للباب ولكن خلود قالت لها في صرامة:

"انتبهني تشيلي يدك عن الغطا بدون ما تقولي مع السلامة!"

أنا الآن مع سوسن، في غرفتها لوحدا، أستطيع أن أتحدث معها بشكل مباشر، أعبر عن مشاعري، وأهيم بمشاعرها! مرت فترة صمت.. يدي ويدها على قطعة البلاستيك، الابتسامة على وجوهنا، والتوتر بين دقات قلوبنا المتسارعة..

"حرجن؟ إنت لسا هنا؟"

"خ ا ي ف.. م ن ي؟"

"وأخاف ليه؟ إنت ممكن تأذيني؟"

"أ ن ا.. خ ا ي ف!"

"هاهاها.. خايف مني؟"

"خ ا ي ف.. ع ل ي ل!"

"لا تخاف.. أنا جنية أكثر منك!"

قالتها ورفعت أناملها عن قطعة البلاستيك فجأة.. وتركنتني وحيداً على الويقة، أحضرت الأياد من على مكتبها واستلقت على سريرها وفتحت برنامج الكتابة ووضعت القطعة البلاستيكية عليه، فهمت مغزاها قبل أن تناديني وكأنني إنسان بشحم ولحم معها في الغرفة..

"تعال هنا أحسن يا حوجن.."

وضعت القطعة البلاستيكية على الأياد وانزلت بنعومة ولكنها كانت كبيرة مقارنة بحجم الحروف، أبعدتها سوسن وقالت..

"خلينا نجرب كذا من غير الغطا؟"

غادرت السيدة رجاء فمددت يدي على الفور نحو الأبياد،
وعليها يد سوسن التي مازالت مستلقية على السرير ومثكئة
على المذبة. همست سوسن همسة وكأنها تخشى أن تسمعها
أمها:

"كنا حدثكفش"

قالت وأناملها على لوحة مفاتيح الأبياد تحركها بحذر دون أن
تلمس الأحرف إلا عند توقفي عليها.. فرددت عليها..

"ربنا ستر"

تفاجأت سوسن، وتفاجأت أنا أكثر منها من سلسلة الكتابة
بهذه الطريقة، ما أروعك يا سوسن! هي تتحدث وأنا أريد
بالكتابة على لوحة المفاتيح باستخدام أصابعها مباشرة! أعتقد
أن مخترعي لوحة الأويجي من الإنس والجن سينبهرون
باختراعك، لست متأكد أن كانت هذه الطريقة نافعة مع
الأخرين، أم أن علاقتنا أنا وسوسن لها ظروفها الخاصة، لن
أضيع هذه اللحظات الثمينة في الثثرة مع نفسي..

"سوسن اش اللي شاغل بالك؟"

وضعت أناملتي على أناملها مباشرة وحركتها، شعرت أنني أنا
الذي أتحكم في أناملها، ولكن حركة أناملها على لوحة المفاتيح
طبع جميع الحروف التي تمر عليها فظهرت عبارات غريبة غير
مفهومة، فأطلقت سوسن ضحكتها الطفولية التي أثارت فضول
السيدة رجاء، فدفقت باب غرفة سوسن وأصبت بالذعر فرفعت
يدي على الفور وفتحت الباب وهي تسأل:

"سوسن! ضحكك واصلة للسبب.. مع مين تتكلم؟"

"جالسة أتفرج مقاطع يوتيوب تغطس من الضحك يا
ماما"

"الوقت متأخر.. ما عندك محاضرات بكرة يا بنتي؟"

"لا ياماما.. وكمان مو جايني نوم!"

"طلب أسويك حاجة يابنتي؟"

"لا شوية وحانام.. ربي ما يحرمني منك يا ماما"

ما أقصاها! لقد استجسعت قواها وغيّرت مسجري الحديث
وأجبرتني أن أبتز معها الموضوع حين قالت:

"أنا راضية بنصيبني وباستمتع بكل يوم في حياتي
بدون ما أشغل بالي، باعتبار أنني ما دريت أصلاً أنني
مريضة ولا حتى فكرت أقول لأحد، وربنا كريم، هو
يتولّاتي، وبعدين تعال هنا، سييك مني وحكيّني كل
حاجة عن الجن وعن أهلك، أبغى أعرف كل التفاصيل
لو سمحت!"

ابتلعت حزني وأنا أحكي لها كل ما أعرف، وهي تعلق أحياناً
وتبتسم أحياناً في استرخاء، تتأملت حركة أصابعها وهي
تقاوم النعاس بصعوبة، تمتعت قبل أن تستسلم لنومها:

"مع السلامة يا حوجن..."

ابتسمت وأنا أراقبها، كنت متأكداً أنها شعرت بابتسامتي،
سحببت أناملني بهدوء، وكأني أخشى أن تزعجها حركة يدي،
جلست على طرف سريرها أتأمل ابتسامتها التي لا تفارقها
حتى عند نومها، وسالت دموعي، دموع فرحتي بالكلام مع
سوسن، وحزني عليها.

"ما فهمت؟"

"دائماً تبكي لوحدي؟"

"أنت دائماً تراقبني وأنا لوحدي؟"

"لا لا لا.. أنا أخرج من الغرفة أول ما تجي!"

"طب كيف عرفت أنني بابكي دائماً؟"

"صور الأشعة.. أبوك مريض؟"

صُعقت سوسن من سؤالني الذي ندمت عليه حينما انتهت
دموعها على خدودها وأناملها والأبياد عابرة من خلال أناملني،
مرت لحظات لم تتحدث، وحاولت جاهداً الكتابة ولكن أنامل
سوسن تسمرت على حرف الضاد، كرهت نفسي وحماقتني
إلى أن قالت:

"هذي صور أشعة دماغني أنا!"

نزل الخبر ثقيلًا جداً على قلبي، ماجت بي الأرض، هذه
الزهرة اللطيفة التي تفوح سعادة على من حولها وما حولها،
مصابة بورم في دماغها؟! ورم قد يقطعها في أية لحظة!

(8)

رحمة الله عليك يا جدي

أحياناً أرتبك وأنا أحكي لكم قصتي، فكرت أكثر من مرة في أن أتوقف عن سردها لكم، أتساءل أحياناً مع نفسي، لم أضيع وقتي في إقحامكم في مشاكلتي وهمومي؟! ولم تضيعون أنتم أوقاتكم في قراءتها؟ إنه الفضول.. فقط الفضول.. أنتم يا إنس فضوليون بامتياز، أعذركم على فضولكم لكل ما يمت لعالمنا بصلة، فذلك مصدر تسلية لكم، كما أنكم بفطرتكم تهابون كل ما هو غيبي وغامض ومجهول، أعتقد أن في إطلاعكم على تفاصيل حياتي طمأنة طفيفة لخاوفكم، أو قد تكون ممارسة لهوايتكم في الاستمتاع بإزعاج الذات، لا أفهم لماذا تجدون الرعب مسلياً لهذه الدرجة؟ تصنعون الأفلام التي تقضون أمامها الساعات فقط لتغمضوا أعينكم وتطلقوا صرخاتكم بالرغم من كل ذلك قررت أن أوصل سرد قصتي مع سوسن..

مرت عدة أسابيع كنت أتحدث فيها مع سوسن بشكل شبه يومي، نقضي الساعات سوياً، لم تشعرنني سوسن يوماً بأنني غفريت من عالم آخر بالرغم من فضولها وشفقتها لمعرفة الأسرار التي تربط عالمينا، لم أشعر يوماً أن عمري يفوق عمرها بأربعة أضعاف، بالعكس كانت تدهشني دائماً بنضجها، لقد كانت تجري عمليات عقلية صديقاتها عندما تكون

معهم مع أن فكرها أرقى وأعمق منهن بكثير. لم أتوقع أن تستوعب كم المعلومات الهائل عن عالمنا. تحدثت معها عن كل شيء، تنهمر تساؤلاتها وتساؤلاتي كلما التقينا، نبحث عن إجاباتها سوياً، نتفق، نختلف، نتحاور، كنت أتمنى أن أعرض عليكم ما جرى بيننا من حوارات، ولكن قصتي لا تتسع، أعذكم أن أحاول كتابة بعضها فور إتمام القصة.

قرأت معها كتبها، شاهدت أفلامها، استمعت إلى أغانيها، بل وساعدتها أيضاً في شراء ملابسها من الإنترنت، كانت تتكلم، وكنت أحرك أصابعي على حروف الإجابة فتكتبها هي على الفور. وكأن الحوار بين أبعادنا تلاشت وفسحت المجال لأرواحنا فامتزجت.

صارت تشعر بوجودي عندما أكون بجوارها، تعرف موعد عودتي من عملي، تجهز ألباسها وتعد قهوتها وتصر أن تعزمني عليها كل مرة وهي تعلم أنني لن أذوقها، تذيب قلبي عندما يسرقنا النوم أثناء حديثنا وأستيقظ على صوتها الحنون وهي تداعب سطح الألباد وتهمس:

"حوجن؟ إنت لسا هنا؟"

وكأنها تخشى أن تزعجني، أو تنام أثناء حديثنا وأنام أنا تحت أحواض السوسن عند نافذتها، مرت هذه الفترة كالطيف العابر وبتراها نداء أمي المتوتر لي، استيقظت، لم أجد وقتاً لأتأمل سوسن لأنني كنت في لحظة قد وصلت للسطح لأرى جدي ولأول مرة من سنين جالساً بعد أن أمضى عمراً من حياته على الفراش، أشار إلي بيده المرتعشة ليجلسني بجواره، ونظراته تبحث عن شيء في الأفق، سكوت الليل لم يقاطعه سوى دموع أمي الصامتة، إلى أن قرر جدي الكلام، وكأنني أسمع لأول مرة يتكلم:

"وأنا صغير، قامت حرب الحربين، ما أعرف أحد غيري حضرها ولا زال عايش"

"ربي يعطيك طولة العمر يا جدي ويخليك لنا"

"كنت في عز شبابي لما غرقت اليتمة"

عندما يقترب أجل الشخص يكثر من ذكر الماضي وتذكر الموتى، أنتم أيضاً تعرفون ذلك، بالذات عندما يصحو فجأة من سباته، تلك هي صموة الوداع، كانت أمي متيقنة من ذلك،

"جدي..!"

"وعلى نفسك.. وعلى هؤلاء الإنس الطيبين، فيه إثنين
مردة يصوصوا حولين البيت من فترة، أنا عارف إيش
يبغوا.."

يا ترى هل عرف جدي بما دار بيني وبين زعمام؟ هل يعرف
الوضع المخزي الذي وضعتهم فيه؟ هل يعرف أن حياته مهددة
بسبب علاقتي الحمقاء بسوسن؟

"أنا ما بقي لي أيام طويلة أعيشها، إيش بيستفيدوا
من عجوز ينتظر أجله؟ هؤلاء جاينين عشانك إنت يا
حوجن!.. حوجن تتذكر أبوك؟.."

تحسس جدي وجهي بأنامله المرتعشة وابتسم وهو يقول..

"كأنني شايف ميحال قدامي، إنت ورثت كل شئ من
أبوك، نسخة منه! ما تتخيل قد إيش هم متعشمين إنك
ترجع لهم، وتعوضهم عن خسارتهم في أبوك، ربنا
خصه بقدرات ما يحلم بيها أكبر مارد عندهم، يبقوك
ترجع عشان يزوجوك بنت عمك ويستمر نسل أبوك
بينهم! أصحك يا حوجن ترجع لهم.. أصحك!"

بالرغم من محاولاتي الفاشلة لتشجيت تلك الفكرة ومقاطعة
جدي..

"جدي إنت لازم ترتاح، إن شاء الله كلها أيام وتسترد
عافيتك ونروح عمرة مع بعض.. و.."

جدي الذي لم يستمع لكلمة مما قلت، إلتفت إلي وقال:

"ميحال أرجل وأشهم وأكرم جني شفته في حياتي،
وصاني عليك وعلى أمك قبل لا تطلع روحه وهو بين
يدي"

انهارت أمي في بكائها المرير بالذات عندما أيقظ جدي ذكرى
والدي، ولكنه تكلم معي أنا وكأنها غير موجودة:

"ميحال ضحى بنفسه عشان نعيش أنا وإنت وأمك..
عرضوا عليه يصير ملكهم، لكنه رفض، هددوه وعذبوه
عشان يتخلى عننا، لكنه وقف في وجههم إلين قتلوه..
حوجن.."

"لبيك يا جدي.."

"لا أوصيك على أمك.."

وأعاد عبارته التي كانت أثقل من الجبال على قلبي:

"أنا أخذت الأمانة من أبوك.. واليوم أسلمها لك يا
حوجن.."

قالها وهو يسعل بشده، وكأنه يخرج آخر الأثقال من صدره،
وضمته على سريريه بلطف، لم نبارح أنا وأمي مكاننا، نمت
على الأرض بجوار سريريه، كلما أفتح عيني أجد أُمي تتأمل
وجه جدي، تمسح على جبينه، وتنساب دموعها في صمت
وتبتعد في مجراها إلى أن تسقط من ذقنها دون أن تزعج
جدي.

أعتقد أنني سأخسر وظيفتي مع تكرار تفبيبي، عرضوا علي
سكناً يقرب مقر عملي، والأهم من ذلك بعيد عن بني البشر.
ليتني قبلت عرضهم قبل أن تتعقد الأمور، لم يوصني جدي
بعائلة الدكتور عبد الرحيم من فراغ، ياترى مالذي يخفيه
جدي؟ ومن المردة الذين يحومون حول البيت؟ توقفت سيارة
أمام الباب، وخرج منها أبو عطية صديق الدكتور عبد الرحيم،
ومعه الشيخ موسى تاكاو ساحر إفريقي يدعي التدين بالرغم
من أن خواتمه تقضه، يتبعهما زعناب ومارد آخر لا يفارق
الشيخ موسى..

الآن عرفت لماذا تغيب الدكتور عبد الرحيم عن عمله اليوم!
نزلت بسرعة من السطح دون أن يشعر بي أحد، دخلت عبر
شباك المطبخ إلى غرفة السفرة التي يفصلها ساتر عن غرفة
الجلوس وجبست أنفاسي كي أسمع ما يدور بينهم دون أن
يشعر أحد بوجودي، ابتدأ أبو عطية حديثه:

"شوف يا أبو هتان، أنا والله لولا إني أعزك ما كان
لزمتم على الشيخ موسى يجي، تراه كله بركة
ومكشوف له الستر.."

قالها بينما عجز الشيخ موسى عن إخفاء ابتسامة الزهو.. وهو
يتمتم بعميمات توهم من حوله أنه غارق في الخشوع والذكر
فواصل أبو عطية:

"من يوم ما حكيت له عن اللي حصل في بيتك عرف
على طول، بيتك فيه مردة حراس يا دكتور.."

قاطعه الدكتور عبد الرحيم معترضاً بلباقة:

"بس يا أبو عطية الموضوع مر عليه شهرين وما حصل
شي الحمد لله، كل يوم نتحصن ونشغل سورة البقرة
في البيت.."

"يا عبدالرحيم، لازم تعرف إنه هذا المخطط انبني على

قرية جنا وكنز ملكهم تحت بيتك بالضبط!"

قبل أن يستنكر الدكتور عبدالرحيم تكلم موسى لأول مره

بلكنته الإفريقية:

"هذا رزق كتب الله لك من فوق سبع سماوات، فيه

أحد يرفض رزق الله؟"

واصل أبو عطية بإصرار ليتلاعب بنقاط ضعف الدكتور

عبدالرحيم:

"يا أبو هتان، الشيخ موسى بإذن الله بإذن الله يقدر

يتفاهم مع المردة ويقنعهم يسيبوا البيت ويفكوا

الحجب عن الكنز اللي أصبح شرعاً ملكك إنت من

يوم ما امتلكت أرض البيت، الموضوع هو سهل! بس

بالله عليك مو حرام نخسب رزقك ورزق أولادك؟ شاه؟

تقدر تقول لي إش رح تسبب لهم من بعدك؟"

نجح أبو عطية في التلاعب بعواطف الدكتور فواصل بحماس:

"رح تسبب لهم أقساط البيت؟ كيف رح تزوج هتان

وأختك؟ كيف رح تبني لهم بيوت؟ يرضيك يعيشوا

المعاناة اللي عشتها؟ الحياة ماصارت سهلة زي أول

يا دكتور! هذي فرصة سخرها الله لك! وهذولا أمانة

في رقبك، وربنا رح يحاسبك لو منعت عنهم رزقهم!"

لاحظ موسى تأثر الدكتور عبدالرحيم عندما داعب أبو عطية

نقاط ضعفه، فأجهز عليه بالضربة القاضية:

"يشهد الله يا دكتور أنني لا أبتغي غير وجه الله، وما

جيت إلا لمعة أبو عطية عندي ولأنه مدح فيك كثير،

هذي الأمور ما تحب نكشفها، وييغالها شغل ومجهود

ومخاطرات كبيرة، لكن إحنا نستعين بالله، وما يوقف

في وجهنا أي مارد وشيطان بحول الله! أنا مستعد

أثبت لك إننا ما بنستعين غير بالقرآن والجن والخدام

الصالحين، ولو تعطيني فرصة أنا ممكن أعرف حجم

الكنز وأخليهم يفرجونا عليه عشان تصدق بنفسك،

وفي النهاية الموضوع راجع لك إنتا!"

انتفض الدكتور عبدالرحيم رغم صلابته، وتردد قبل أن يستوعب الموقف، فرد السلام:

"وعليكم السلام.."

"نحن نعتب عليك يا دكتور.. كيف ما تقبل مساعدة إخوانك الصالحين من الجن..؟ بيتك تسكنه عائلة من المردة الحراس على كنز الملك هانان، بعون الله نقدر نقتنعهم يسلموك كنزك، أو على الأقل ينقلوا الكنز وينصرفوا من..."

لم أستوعب مالذي حصل، ولكنني لمحت خيالاً خاطفاً انطلق نحو شئ ودفعه بعيداً وأخرسه، إنه جدي..! ذلك المريض الذي لا يقوى على الحراك ولا الكلام رأيت اليوم يعتصر المارد بيديه وكأنه شاب لم يجاوز المائة عام! تتبعه أمي التي انقض عليها زعنام متردداً.. وقبل أن أستوعب الوضع هجمت على زعنام عندما رأيت انقضاضته على أمي.. وقفت بينه وبينها فارتطم بي، لا أعرف من أين أتتني كل تلك القوة قبضت على رقبته وكنت أن أنتزعها في يدي وألقيت به بعيداً، التفتُ إلى جدي فرأيت شئ يستमित ليقلت من بين يديه بعد معركتهما الشرسة، لمحتي فجحظت عيناه وهو ينظر إلي في رعب، رأيت

كان زعنام والمارد الآخر (شئن) يجلسان في شجر، وكأنهما قد ملأ هذا السيناريو المتكرر، وينتظران دورهما فيه، فواصل موسى وهو يخرج من جيبه قطعة قماش حمراء فيها معجون بخور ذو رائحة نفاذة:

"هذا يا دكتور لجان مقري عليه، الآن بأسأل الخادم الصالح ميكائيل قدامك عثمان تصدقني!"

وضع موسى جزء من البخور على طفاية السجائر، أوقدها فتصاعد منها دخان أبيض كثيف، فمال أبوعطية نحو الدكتور عبدالرحيم هامساً:

"الخادم الصالحين دائماً يطلع لهم دخان أبيض، دحين تسمعه بنفسك، أصحك لتريك.."

تصاعد الدخان بكثافة، وازدادت وتيرة تنفحات موسى وهو مغمض عينيه ويلوح بيده فوق الدخان، فقام شئن وجلس أمام الطفاية وتحديث بصوت مسموع وأسلوب استعراضى:

"السلام عليك يا صاحب الدار.."

ودعهم الدكتور عبدالرحيم وملامحة تقطر دهنًا وقلقًا، ويخل من الباب وهو يردد الأذكار وأية الكرسي. حملنا جدي الذي استنفد ما تبقى له من قوة، حملناه إلى سريرده أنا وأمي، كان مبتسماً مطمئناً وكأنه أتم مهمته على أكمل وجه.. مهمته التي استغرقت 420 سنة!

إصابات جدي البليغة فصرخت فيه صرخة تشنت على إثرها الدخان الأبيض، واضربت كهرباء البيت. استطاع زعناب أن يحمل بقايا شئ وينفذ بجلده.. ومع معركتنا توتر الموقف بين الدكتور عبدالرحيم وضيوفه، حيث توقف حديث الخادم الصالح المزعوم، وتلاشى الدخان، وظهرت علامات التوتر الشديد على موسى الذي عقب قائلاً:

"شفيت يا دكتور عبدالرحيم؟ حراس الكنز ما يحبوا الخدام الصالحين، بس لا تشيل هم.. ربنا معانا بإذن الله!"

لاحظ أبو عطية توتر موسى الساحر، فقرر إنهاء الزيارة وهو يقول:

"أدبك سمعت وشفيت بنفسك يا عبدالرحيم، لو ما اتصرفنا بسرعة صدقني بيأذك ويأذوا أهلك.. خليني أوصل الشيخ موسى وأكلمك بعدين.."

(9)

سيوسن.. تحقضر!

رحمك الله يا جدي رحمة واسعة.. دفناه في بقيع الغرقد كما أوصى بجوار آل النفر وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. كانت آخر وصاياها أن تبقى أمي في اليتمة على مشارف المدينة المنورة في حماية من تبقى من آل النفر، الذين بالرغم من اختلافهم مع جدي بسبب تزويجه أمي بمارد إلا أنهم رحبوا بعودتها واحترموا وصية جدي، بقيت مع أمي شهراً في اليتمة، لم يستسغ آل النفر وجودي بينهم، أشعروني أنني مارء متطفل عليهم! الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لا فرق إلا بالتقوى ولكنهم للأسف يقدمون النسب على التقوى، أعتقد أن المفاضلة على أساس التقوى قد تلاشت عندنا وعندكم فأصبحت بالأنساب والمصالح! لولا أمي لما بقيت في اليتمة يوماً واحداً. قررت أن أوفر عليهم حرج طردي فغادرتهم بعد أن أطمأنت على أمي، وعدت لأثقف باقي وصية جدي: حماية الدكتور عبدالرحيم وأسرته.. حماية سوسن!

شهر كامل أبتعدت عن سوسن، لم أستطع حتى أن أودعها أو أطمئنها، يا ترى هل اشتاقت إلي كما اشتقت إليها؟ ولكن كيف سأعلمها بحضوري؟ سأنتظر بجوارها إلى أن تفتح ابوابها وأحاول أن أحرك أناملها بأناعلي، لهفتي جعلتني أتجاهل منخل البيت وأندفع قوفاً من نافذة غرفة سوسن..

لم أنتظرها حتى تكمل فما قالته كان كافياً أن أكون في المستشفى خلال دقائق قليلة، هتان كان يحاول امتصاص عبه الحديث مع الأطباء والزائرين عن كامل والده الذي كان صامتاً لا ينطق فيه سوى دمة متحجرة على عيئه، وذراعه محيطة بالسيدة رجاء التي انهارت في بكاء مكتوم وهي تتلو آيات الشفاء، هذا المشهد كان كفيلاً بالقضاء علي لولا أنني تماكنت نفسي وانطلقت كالمجنون أفتش عن سوسن بين غرف العناية المركزة..

رأيتها.. بل رأيت جسدها الذي لا تبدو عليه أدنى علامات الحياة لولا تحرك صدرها ببطء.. الأنابيب تغلغلت في عروقها وربتها معلنة أن حياتها ستوقف إن توقفت تلك الآلات.. أنفاسها، نبضها، عيناها التي خبا بريقهما غير مغلقين ولا مفتوحين كلها توحى بأن سوسن غارقة في غيبوبة قد لا تغادرها سوى إلى قبرها..

ورم في الدماغ سبب ضغط على المراكز الحيوية، أدى إلى غيبوبة كاملة، صور الأشعة المقطعية ونقاشات الأطباء والمستشارين كلها تشير إلى أن سوسن لو حالقها الحظ

لم تكن موجودة، لم يكن هناك أحد في البيت سوى الخادمة، كل شيء في البيت بدا كئيباً وكأنهم هجروا البيت من أيام، يا ترى ما الذي حصل في غيابي؟ تزايد قلقي وأنا أبحث عن أي علامة ترشدني إلى مكانهم أو تطمئنني عليهم، إلى أن انطلق رنين هاتف المنزل، الخادمة التي جلست تشاهد التلفاز في غرفتها لم تسمع..

قد يكون المتصل أحد أفراد الأسرة.. توقف الهاتف دون أن تسمعه الخادمة، جن جنوني! يجب أن تجيب! مدت يدي لا شعورياً إلى تلفازها، أحاول أن أدفعه ليقع، كانت يدي ترتطم به دون أن يحصل شيء، جاهدت لنزع سلكه من الحائط دون فائدة بدأ رنين الهاتف مرة أخرى ومع حدة توترتي حصل ما لم أكن أتخيله أبداً! مع محاولاتي لنزع سلك التلفزيون سقط فجأة على الأرض فأصبت أنا والخادمة بالهلع! انتزعا رنين الهاتف من هلعها فقامت لتجيب عليه.. أسرعني بالله عليك! رفعت السماعة في آخر لحظة.. ومزقت عباراتها قلبي:

"ايواه.. مستر ومدام كله روجي مستشفى عشان سوسن مره تعيانه.. غرفه 307 مستشفى تخصصي.."

"إش سويت لسوسن يا ملعون؟!"

"أولاً أنا جايك بكل أدب واحترام وحسن نية، لكن لو
قلبت أدبك رح تضطرنني.."

قالها فبدأت المؤشرات الحيوية لها بالا اضطراب فهرعت
ممرضتان إلى سوسن بقلق وبدأتا في فحصها ودخل الدكتور
وبداً يتفقددها بقلق.. زعناب يعني ما يقوله، وليس لدي خيار
سوى الاستماع لمطالبه للأسف! فواصل هو في استهتار بعد
أن عادت مؤشرات سوسن لعدلاتها:

"يعني.. لما انشغلت إنت في أمور الغزاء قلت لازم
انتبه لأسرة الدكتور عبدالرحيم في غيابك، أولاد الغم
لبعضهم برضوا بس للأسف الدكتور طمع ويخل في
خزعات الكنز والخدمات والخرابيط دي واستعان
بالمردة، وانت عارف إحنا ما نقدر نرفض طلب لأحد،
بس... لكل شي ثمن..! ميزانية الدكتور ما كفت
واضطر ياخذ قرض ويرهن البيت.. يلعن أبو الطمع!
وفي النهاية ضيع شقا عمره ورا الأوهام، وأنا صدقاً
سويت كل شي أقدر عليه عشان يسامحوه في بقية
مستحققاتهم، وضحيت بجهدى ووقتى وسكنت بيتهم

وعاشت فستبقى في غيبوبة، أو ستستعيد وعيها ولكن مع
أضرار جسيمة في المخ قد تعيقها ذهنياً وحركياً باقي عمرها.

"عظم الله أجرك في جدك يا ولد عسي!"

قالها زعناب من خلفي ساخراً، حزني ألجم غضبي، لم ألتفت
حتى إليه وأنا أراقب سوسن مع أنني متأكد من أن له يدأ
فيما حصل لسوسن، فاستمر هو متظاهراً بالتعاطف والأسى:

"معلش ما قمنا معاكم بالواجب، بس لو تحتاج شي
ترا أنا تحت أمرك.. وبخصوص خبيبة القلب.."

التفتُ إليه وهممت أن أطفى حزني وغضبي بتحطيم رقبتك
فاستدرك قائلاً

"أي تهور منك رح يقضي على سوسن، عشان تصير
جيت أجل جدك وحبيبك مع بعض! خليك ماقول
واسمع كلامي عشان نستفيد إحنا الإثنين.."

كلامه لا يعني سوى أن سوسن واقعة تحت تأثيره وقد يقوم
بإيذائها أو قتلها! تمالكت نفسي بصعوبة شديدة ولم أستطع
حبس دموع الحزن والقهر وأنا أقول:

بدل ما يرسلوا مارو غيري شرير ممكن ياذيهم! وكم ان
اضطريت ائتحل شخصيتك عشان اتكلم مع سوسن
واسليها في غيابك، يعني.. ما هان علي اشوفها
متلهفة وقلقانة عليك وكل ليلة تجلس تبكي عاليا
وتناديك بدون ما ترد، قلت ارد انا.."

كل كلمة قالها زعنام كانت تمزقني حزناً وغضباً، لو هالة
راودتني نفسي ان اقضي عليه انتقاماً لجدي وسوسن ولكني
اريد التشبث بأي أمل ينقذ حياتها.. واصل زعنام مسرحيته:

"جريت اللعب معاها في البداية روحها ما حسنت
بوجودي، بس بعدين مشي الجال.. على فكرة سوسن
مملة جداً حاولت اتسلى معاها شوية سوت لي فيها
شريفة وعفيفة وحساسة وزعولية، فاضطريت غصباً
عني اني اتشكل قدامها بشكل لطيف.. بس ما أدري
ليه اترعبت مني..؟ المهم لو قالت لك عيونك بالطول
ونازلة تحت مستوى أنفك وراسك شبه الكمثرى..
فرجاءً قول إيوة عشان مو لطيفة أطلع.. أنا قصدي
تطلع قدامها كذاب! المهم لما حاولت أوريها شكل
حوجن حبيب القلب واتشككت بشكل أوسم من

شكلك بكثير ما قدرت تستحمل وأصيبت بانهييار
ودخلت في الغيبوبة..!"

أعرف ان زعنام يتلذذ بالتلاعب بأعصابي فقررت ان أضع حداً
لاستعراضه المستفز:

"زعنام اش تبغى مني؟"

"بغى مصلحتنا أنا وإنتا على فكرة أنا أسقذت
حياتك، وللا كان الـ ردة قطعوك عشان ينتقموا
لظنن..!"

"شن مات؟"

"شن مات، مو من معركته مع جدك، ولكن من
صرختك! أنا زبطت السيناريو اللي يفيدنا أنا وإنت،
بس لازم تساعدني!"

وبدا يشرح لي خطته الجهنمية، الخطة التي خدع بها أعتى
المردة والشرطيين!

"أنا فهمتهم إنك كفت بتعاوني من البداية، وإنك
اختلفت مع آل النقر بعد ما عرفت إنهم طردوا أبوك

قرر زعنام أن يعرض طلباته بعد أن تأكد أنه لا مفر لدي من الخضوع لها:

"تجي معايا وتسلم على الملك هياف وتقول له إنك ساعدتني عشان نقتل النفري وتتزوج جماري أخوتي وتجيّب منها ولد وأول ما تسلمني الولد إنت حر سيب جماري وللا حتى أقتلها وأرجع للإنسية حقتك!"

لم أكن أدري أن دمايني مهمة عندهم لهذه الدرجة، عرفت أن أبي هو الوحيد الذي ورث قدرات جدي وأنا وريثها بالتالي، وبعد أن ينسوا مني قرروا أن يحافظوا على بقاء هذه القدرات ويضمنوا ملك المستقبل من الآن.. إبنيا يريدونني أن أتعجب من إحدى أقرب قريباتي ويتأكدوا من انتقال صفاتي إليه ويحتفظوا بقلدة كبدي ليصبح ملكاً للمردة والشياطين! ماذا أفعل يا ربي؟ بتر زعنام أفكاري الحائرة:

"حفل زواجك بجماري بكرة.. ولو مو عاجبك ممكن أخليه أول أيام عزاء سوسن.. الخيار لنا بكرة ساعة المغرب في حضرة الملك هيافا"

واتبرأوا من أمك وإنك قررت تدبر معايا كمين لقتل جدك عشان عيون حبيبة القلب ولكنا كلنا اتفاجأنا إنه جدك فيه رمق وقدر يقتل شئ قبل ما تعاوطني على قتله، وإنك كذبت على أمك وآل النفري وفهمتكم إنك كنت بتدافع عنه!"

"الله يلعنك يا زعنام!"

"تسلم حبيبي! وعلى فكرة فيه فاعل خير راح اليتمة ونبيهم إنك شاركت في قتل النفري عشان حبيبك الإنسية!.. ولو قربت منهم رح يقتلوك! إش رأيك في التكتيك؟ إنت حر.. تقدر تقتلني في هذي اللحظة وتخسر كل شئ.. أو تخدمني خدمة بسيطة وتعيش أسعد حياة مع سوسن أو حتى ترجع لأهلك معزز مكرم! ملك ولد ملك!"

"أش المطلوب؟ أش يتستفيد مني؟"

"الله يلطف بها بس، والله ما قدرت أزورها عشان خايفه! كنت حاسة إنه اللي بفسويه ما حينتهي على خير!"

"أنا حرقت الوبجا وحرمت أتكلم عنهم!"

"طب لا تجيبي سيرتها! يلا باي لازم أقفل!"

انتهت أريج المكالمة، وبدأت خلود في الاتصال بشخص آخر، أسرعت إلى يدها، أمسكت بالهاتف معها، حاولت أن أستخدم أصابعها كما فعلت مع أياد سوسن، لم تستجب أصابعها لحركة أصابعي، جن جنوني وصرخت:

"أبغى أتكلمك! حركي صباعك أرجوكي!"

حاولت بانفعال، تحركت أصابعها حركة عشوائية ولكنها لم تستجب لحركتي، استغربت خلود من تلك الحركة، كنت أحاول أن أكتب أي شيء لفهم، كانت تريد أن تتصل فحاولت مرة أخرى فاستطعت في النهاية أن أدفع أصابعها فتحركت على الحروف: S A W. فظهر اسم سوسن ورقم جوالها في أعلى الشاشة، أطلقت خلود صرخة رعب مدوية عندما رأت اسم سوسن ظهر أمامها فألقت بهاتفها بعيداً وكأنه رأس عفريت

قالها واختفى.. شعرت بالخدر في أطرافني، جلست أمام سوسن أتأملها وكأنني نسيت أنه ليس أمامي سوى ساعات معدودة لإنقاذ حياتها، كان الزوار ينظرون لجسد سوسن من خلال النافذة الزجاجية التي تغطيها لأبقى بجوارها، أجلس بيدي على يدها اليابسة وخذودها الذابلة وعينها المتحجرة، لمحت خلود من خلف الزجاج أتت لترورها ولكنها لم تحصل رؤيتها لأكثر من دقيقة، همت بالمغادرة فتبعها على الفور، لا أعرف لماذا، ربما لأنها أُملي الوحيد المتبقي للتواصل مع عالمكم، وهذه نقطة تفوق على المردة يجب أن أستغلها وأنا أتعامل مع داهية كزغنام.

ما حدث لسوسن أصاب خلود بالرعب، بالذات وهي تشعر بأن للعبة الوبجا دور. كانت مشاعرها متلاطمة بين الحزن على سوسن وثأيب الضمير على تعليمها على لعبة الوبجا وخوفها من أن يصيبها أذى من الجن الذين أنوا سوسن. كيف سأفهم معها بعد كل هذا؟ يستحيل أن تحصل معجزة وتلعب خلود الوبجا هذه الليلة، سمعتها تتحدث على الهاتف مع أريج وهي تبكي:

"سوسن راحت يا أريج.. راحت"

يريد إيداءها. لا يهمني أبداً رغب خلود.. ما يهمني الآن هو
أن أصل وبأي ثمن إلى إياد! يجب أن أصل إليه الآن قبل
فوات الأوان..!

(10)

جماري.. ملاك بين العفاريات!

قد تستغربون لو قلت لكم أنني قضيت آخر ساعات ذلك النهار في الحرم، أمام الكعبة.. صليت العصر ومكثت أستغفر الله على ما فعلت وما سأفعل، يا رب سامحني إن قصت بأي عمل لا يرضيك، يا رب أنت أعلم بحالي وحالها، أطف بنا يا رب.

انطلقت إلى جزيرة قُمَاح، حيث قصر الملك هياف الذي يحكم ممالك المردة في جنوب البحر الأحمر والجزيرة العربية وشرق إفريقيا، الملك الذي كان يفترض أن يكون أبي مكانه.

بصراحة تغير الانطباع السلبي الذي كنت أحمله طول عمري عن مملكة المردة، أحياناً نعمم سلبيات من عاديها أو يخالفنا لدرجة تجعلنا نقتنع أنهم شر مطلق وأنا خير مطلق.. لا نعترف بعيوبنا ونتبجح بتضخيم عيوبهم وكأنهم لا يملكون غيرها! لكل شخص ميزات وعيوبه وأعداءه ودوافعه، وفي كل مجتمع خبيث بوادر طيبة، وفي كل مجتمع طيب مظاهر خبيث مهما ادعى الملائكية.. شعرت بالحزن عندما وطأت قدمي قُمَاح، زرتها مع أبي آخر مرة وأنا طفل لم أتجاوز العشرين، بالرغم من الخلاف الذي كان يتفاقم بينه وبين إخوته كان يحرص على أن يربطني بأصولي وأهلي.. لقد تدهورت قُمَاح، أصبحت خراباً بعد أن كانت القلب النابض لممالك الكنا،

ولكنني مهما اختلفت معهم فهم في النهاية أهلي! في خلال ساعات بسيطة أعد زعنام وليمة كبيرة جداً على شرقي، دعا إليها معظم آل الفيحي وكبار أعيان البلد، لم أشعر في حياتي بهذا القدر من الحفاوة، كنت أتخيل أنني سأواجه حفنة من الشياطين المردة ولكنهم في الواقع فاجأوني بلطفهم، أعتقد أن زعنام حذرهم من الخوض في أي مواضيع دينية أو خلافات عائلية، لم يتعجبوا حتى من لكنني التي فضحت تأثيري بإس الحجاز بالرغم من أنني حاولت جامداً التحدث بلهجة أبي. انصرف الجميع بعد أن ألحوا علي أن أبقى على تواصل معهم، وأن القرابة تبقى فوق كل خلاف.

بقينا وحدنا أنا وزعنام، لا يستطيع أن يتحاشى نظراتي المتسائلة أكثر من ذلك، ضيقني بالمشروب واحتسي هو منه مبتسماً ليثبت لي أنه لم يلغمه بسحر. أعلم أنكم ستساءلون: وكيف يتعرض الجني للسحر؟ السحر يأسادة عالم عميق وسعقد، ليس بالسطحية التي تتخيلونها، كما أن الجن أيضاً طبقات وعوالم مختلفة متداخلة، هناك من هم مثلنا يشبهون الإنسان إلى حد كبير، وهناك شياطين سفليين لا نستطيع حتى أن نراهم أو أن نؤثر فيهم كالقراء مثلاً وخدام السحر.. بعيداً عن كل تلك التعقيدات شربت من كأسني كي أثبت لزعنام

تلك هي ضريبة الزحف البشري، فمع ازدياد انتشاركم ينحصر تواجدنا، تجولت بين البيوت الخربة، من النادر أن تجد أحداً مستيقظاً قبل المغرب، فقط بعض الكادحين على أرزاقهم، لا تعنيهم تعقيدات الحياة، ولا يجدون وقتاً لمراجعة مبادئهم وتقنين معتقداتهم.. فقط يكدون ليجدوا ما يأكلونه ويقيهم على قيد الحياة لليوم التالي.. بالنسبة لهم التنظير في قضايا الفكر والمعتقد رفاهية لا يطالها سوى القلة المترفة، نظراتهم البائسة اخترقتني وكأنهم لا يرونني، لم يلاحظني سوى عملاقان تقدما إلي وسألاني بحزم عن اسحي وسبب وجودي في قماح، عندما أخبرتهم بأنني حوكن الفيحي تغيرت نظرتهم وتحولت للتقدير والاحترام المغلفان بهيبة وقد أقول خوف أيضاً.. ربما لأن أسرة الفيحي تعتبر من الأسر الحاكمة لهم.. انطلقت معهما إلى ملاح حيث انتقلت سلطة المردة، أصر الحارسان على أن يوصلاني بنفسيهما إلى بيت زعنام، استقبلني زعنام بحفاوة مربية، كان شخصاً آخر تماماً، وكأنه نسي خلافنا ومعاركنا، في البداية ضايقتني كرمه المبالغ فيه ولكنني في النهاية قدّرت إكرامه لي، أظنه لم يتوقع أن أستجيب لطلباته، أعتقد أن زيارتي لزعنام أثبتت للجميع أنه نجح في لم الصدع الذي أحدثه أبي عندما تحداهم،

موقفك أهون من موقفني بكثير! إنت في أسوأ الأحوال
رح تخسر إنسية! مجرد إنسية! يعني حتى لو
عاشت، كلها أربعين خمسين سنة ورح تعجز وتموت
قدامك وانت ما تقدر تسوي لها أي شي! أربعين سنة
تعدي في غمضة عين! أما أنا فحياتي على المحك لو
أقنعك تعيش معنا وترجع لعرش جدك رح أكون أنا
وزير لكني متأكد إنك مستحيل تقبل بهذا الخيار،
عشان كذا وعدتهم بنسلك!"

صدق زعمام، فموقفه أصعب من موقفني بمراحل! حياتي التي
كنت أتخيل أنها شاقة ومعقدة لا تقارن أبداً بالظروف التي
يواجهها أهلي هنا!.. ولكني لن أتخلي أبداً عن مبادئ، ولن
أفرض في حياة سوسن مهما كانت التضحية! لن أسمح لنفسني
أن أكون سبب عذابها! قطعت حبل أفكاري لأواصل الاستماع
لزعنم!

"مشكلتك يا حوجن إنك مندفع ورا عواطفك ومثالياتك،
وأنا أمشي ورا عقلي ومضالحي.. مصالحنا كلنا!
على فكرة أنا من جد ما أتمنى أحد غيرك يتزوج
جماري، إنت عارف انه ما بقي لي غيرها!"

ثقتي، أو بالأحرى لا مبالاتي فلم يبق لدي شيء لأخسره..
ابتسم وهو يقول:

"ما كنت متخيل أبداً إنك تجي! الواحد ماله غير أهله
يا ولد عمي! اللعنة على المصالح اللي تفرقنا!"

لم أرد عليه سوى بابتسامة باهتة كاذبة فواصل:

"صدقني يا حوجن كل اللي بأسويه غصب عني! هنا
ماقيش أي رحمة! يا تنفذ اللي ينطلب منك يا يقتلون!
وأنا اللي انطلب مني شيء مو سهل أبداً! أعمامك
وأولاد عمك اللي قابلتهم اليوم كلهم مرعوبين! كلهم
خافين يتذهبوا واحد ورا الثاني! كلهم متعشمين إنه
بسببك يحصلوا على شوية حصانة، مو بس
الفحيين.. الكل متعشمين فيك كل خير، من يوم ما
عسي ميحال سابنا اتدهورت أحوالنا، الملك هياق ما
يرحم أحد.. ما رحم أولاده وأحفاده!"

دعنت عيني زعمام، هل يعقل أن يبيكي شخص كهذا؟..

"أنا دفنت زوجتي وبنيتي بيدي، بس عشان فكرت
أعترض على إني أصير ماردا! صدقني يا حوجن

تشاكيلنا وأبعدنا لا صفها لكم بشكل أدق، دخلت جماري وجلست في طرف الغرفة ولم ترفع رأسها وهي ترحب بي:

"كيفك يا حوجين؟"

لم أرد عليها، كنت مشغولاً بتأملها، ولم يشغل زعنام نفسه بإذابة كومة الثلج بيننا فغادر الغرفة دون أن يتكلم، فارتبكت جماري وارتبكت أنا أكثر منها.. فحاولت أن أزيل بعض الإحراج:

"زمان عنك يا جماري.. كبرت، واتغيرت كثير.."

"كل شي يتغير، ما في شي يبقى على حاله.."

قالتها مصرغة بحزن يختصر المأسى التي مرّت بها وغيّرت حياتها، قواصلت هي في تلطيف الأجواء حيث فشلت أنا:

"ما تتخيل قد ايه عمي ميخال وحشني. ما زلت أتذكر لما كان يشيلني ويلعبني وأنا صغيرة، كان دايماً يقول لي..."

بثرت عبارتها عندما أدركت أنها لا تناسب أبداً حساسية الموقف، كنت أعرف أن أبي كان يتمنى تزويجها لي قبل أن

تابع وكأنه فهم ابتسامتي التي استعادت ما قاله بالأمس عن قتل جماري إن أردت:

"أنا عارف ومتأكد إنك مستحيل تاذيبها.. بالعكس أنا رح أطمئن على جماري معاك أكثر مني!..."

أطرق برأسه قليلاً ثم ناداها، نادي جماري:

"تعال ياجماري.. تعالي سلمى على ولد عمك.."

في هذه اللحظة بالذات تذكرت ما قالت لي سوسن يوماً.. بالرغم من مهارتها في التحكم بمشاعرها، إلا أن الأنثى تبقى أنثى.. لا تستطيع إدارة غيرتها وفضولها، سألتني سوسن يوماً عن جمال بنات الجن وكيف يقارن بجمال الإنسيات، ومن حمقي استطرقت في وصف طبقات جمال الجنيات الذي يتجاوز بكثير الرشاقة وألوان البشرة والعينين والشعر، ولكنني استدركت نفسي، فسوسن في النهاية.. أنثى..! غيرتها سهلة الاشتعال، أنا متأكد من أن غيرتها كانت ستفجر لو رأت جماري..! آخر مرة رأيته كانت مجرد طفلة لا تمت بصلة للحرورية التي أراها أمامي، رأيت اليوم ملاكاً يعيش بين العفاريات! كم أتمنى لو أنكم تعرفون مقاييس عالمنا وتستوعبون

قاطعتني وقالت بيأس:

"زعمام ما يقدر يفكها! زعمام متورط زيه زينا،
الموضوع في يد الملك هيافا! الإنسية لبسها واحد
سفلي رابط على دماغها، أرسله الملك هياف عشان
يضغط أكثر على أبوها ويضطر يرجع للساحر
ويقدم الذبايح، عشان يفك سوسن من لعنة
"حراس الكنز".. كذا فهموه. الآن أبوها يحاول يدير
مبلغ كبير ويقدم الذبيحة عشان ينقذ حياة بنته، هو
اللي جاب المصايب لنفسه! هو اللي فتح بيته للمريده،
ما عمري شفت زي طمع وغباء الإنسيين..!"

توقفت عن الحديث عندما شعرت أن انتفاصها من الإنس قد
يجرح مشاعري فسألتها:

"طب على أي أساس فهمني إنه يقدر ينقذ حياتها؟"

"ما يقدر! هو من يأسه وعد الملك إنه يرجعك وطلب
منه يرسله لبيت الإنس عشان يقنعك إنه ما فيش
فأيده من الإنس ولا من التفريين وترجع لنا، ووجودك
هنا اليوم يثبت إن خلقه نجحت! لكن في كل الأحوال

تسوء الأوضاع بينه وبين أعمامي، كان دائماً يناديها: يا أم
عيجال..

غيرت الموضوع.. أو بالأحرى دخلت في صلب الموضوع:

"اسمع يا حوجن، أنا متأكد إنني مستحيل أرتبط
بأحد أروع منك بس..."

أشاحت بوجهها، وعينها الملائكيتين تحاولان حبس دموعها:

"بس أنا مستحيل أرضى إنني أتزوج بالطريقة دي!
ما أرضاها لي ولا لك!"

"زعمام حكى لك عن التفاصيل؟"

"زعمام ما يخبي عني أي شي، أنا وهو اتضاربنا
بسبب هذا الموضوع، لعلمك أنا وافقته بس عشان
ننقذ حياة الإنسية المسكينة.."

"أنا رح أحاول أتفاهم معاه وأقنعه يفكها و..."

في هذه اللحظة دخل زعمام، وبيده عقد النكاح لا يكاد يخفي
توتره وضيقه من هذا الموقف:

"حوجن، هذا عقد إسلامي. وعندني اثنين مسلمين
مستعدين يشهدوا إذا وقعت.. وعلى العموم الموضوع
راجعك.. صدقتي أنا مستحيل أضر أحد إلا لو
اضطريت!"

تناولت العقد، عليه توقيع جماري، نظرت إليها ولكن خجلها
وتوترها لم يسمح لها بالنظر إلى عيني، فتركنتي بعد أن
تركنتي أخوها، وجلست وحدي أتأمل ذلك العقد.. عقد زواجي
بجماري..

لازم يقنع الملك هياف إنه يفك جندي الربط عن الإنسانية
عشان تفوق."

"ما عمري شفت أدهى من أخوك!"

"أخوي يعني يعيش.. أنا كمان أبغى أعيش! لكني
مستحيل أرفض أعيش عاله على أحد. أنا مو محزنني
غير الإنسانية المسكينة، ونفسي أساعدها بأي طريقة.
لا تحسب إنني عندي أي مصلحة.."

ما أروعك يا جماري.. ولكن روعتك وجمالك وقربانك لي شيء
وحبي لسويس شيء آخر تماماً، في هذه اللحظة بالذات تمنيت
فعلاً أنني لم أعشق سوسن ولم ألتق بها يوماً..

"جماري، أنا مابقي لي أحد في هذي الدنيا غير
أمي وانتو..! ونفسي كمان أسوي أي شيء أقدر عليه
عشان أخلصك من كل هذا! خلينا بس نخرج من هذا
المأزق وبعدها يحلها حلال.."

(11)

إيوان الملك هيكاف

الملك هياف رمز للسيطرة المطلقة الغير قابلة للنقاش مثل أنظمتكم المستبدة تماماً ولكن الفرق الوحيد هو أن ملك المردة يستمد صلاحياته من اللعين مباشرة والذي يمثل السلطة العليا في مملكة الشياطين، بينما تمارس أنظمتكم ظلمها بالاعتماد على جهل وفقر وخوف شعوبها وفوق ذلك تدعي أنها تستمد أهليتها وشرعيتها من الله مباشرة وباختيار شعوبها التي تسحقها ليل نهار.

وبالرغم من صلاحيات الملك هياف، إلا أنه في النهاية لا يعتبر سوى موظف بين يدي أسياده، لا يستطيع أن يستغل صلاحياته لأغراضه الشخصية، فمصلحة اللعين فوق كل المصالح الأخرى.. القضية بالنسبة لهم ليست كما تصورونها أنتم: إنس وجن، ملائكة وشياطين، أخيار وأشرار.. القضية قضية مصلحة فقط. ليست لديهم أدنى مشاعر تجاهكم، هم ينفذون ما يحافظون به على حياتهم وطرز في الجنس البشري بأكمله.. ولكن قواعد اللعبة تحتم أن لا يتخطوا حدودهم مع البشر إلا بدوافع من البشر أنفسهم، شرور البشر وغفلتهم وبناءة نفوسهم هي المفاتيح التي تفتح الأبواب للمردة للتدخل في عالمهم، فعا بالكم لو استعان الإنسان بالمردة وقدم القرابين للوكهم؟ هذه هي حالة الكفر الصريح، إذا تم توثيقها

ويوصيني بأخذ الحيطه والحذر وتلقيني بما يجب أن أقوله وما يجب أن أتحدثاه كي لا أعرض حياة سوسن وحياتنا للخطر.

لم أر في حياتي مملكة أكثر تمدناً وازدهاراً من ملاج، لا أعني بالازدهار تلك الصورة النمطية التي في أذهانكم، نعم هناك القصور المبهرجة والمباني العملاقة ولكننا لا نحتاج إلى منظومة الحلول التكنولوجية لتسهيل الاتصال والتنقل التي تعتقدون أنها هي مقياس الحضارة، جميعها اختراعات تساعدكم على التعايش مع قدراتكم المحدودة، حضارتنا تعتمد أكثر على الجانب العمراني والإنتاجي والمدني.

كانت سوسن تسألني دائماً عن السر الذي يحجب عالم الجن بكل ما فيه ومن فيه عن عالم الإنس، ذلك الحجاب الذي فشلت جميع الوسائل العلمية المتطورة من جهتك في تخطيه ورصد أدنى دليل أو علامة تثبت أنكم لستم الكائنات الوحيدة العاقلة في هذا العالم، لدرجة أن الكثير منكم ينكرون وجودنا أصلاً، مشكلتكم غرورك، فكلما اكتشفتم جزئية علمية تافهة تعتقدون أنكم عرفتتم أسرار الوجود وتنكرون كل ما لا يستوعبه علمكم الضئيل، الحياة أعمق وأعمق بكثير من النظريات والمعادلات التي تحاولون أن تحشروا تحتها كل شيء! حاولت أن أشرح

من قبل المردة فإن عواندها مغرية جداً وهذا ما يسعون إليه دائماً. الدكتور عبدالرحيم كان جاهزاً للمرحلة الأخيرة من مراحل التقرب لهم، انطلت عليه الخدعة وأصبحت تلك القرابين أمله الأخير لإنقاذ حياة ابنته وإنقاذ أسرته من الأزمة المالية.

أعرف أنكم الآن تتعذون بالله من أفعال الدكتور عبدالرحيم، ولكن قولوا لي بالله عليكم لو كانت حياة شخص عزيز على أحدكم مهددة، وكان أمله الوحيد لإنقاذها هو في ذبح تيس أسود عكس القبلة على اقتراض أن دمه سيبعد المردة الأشرار.. فهل سيتردد؟ لا تحكموا على الدكتور عبدالرحيم إلا لو مررتكم بمأزق كمأزقه!

ذهبنا لمقابلة الملك أنا وزعناب وجماري.. زوجتي! كانت متشبثة بذراعي وكأنها وجدت ولأول مرة ملاذاً لمخاوفها، في العادة يستحيل تحديد موعد لمقابلته، وحتى إن وافق عليها لا تتم إلا بعد أسابيع أو أشهر، لكن الوضع يختلف مع حرص الملك هياف على لقائي أنا بالذات! لا أعلم ما السرا! قد يكون كل هذا مجرد كمين لقتلي، للتخلص مني قبل أن أفكر في الانتقام من قتلة والدي، كل شيء جائز.. ولكنني لا أحمل ذرة خوف واحدة، على عكس زعناب الذي كان يرتعد طوال الطريق

وإحداث بعض الأصوات أو التحكم في التيار الكهربائي أو الانبعاثات الحرارية والضوئية، وتصل إلى التجسد الفيزيائي الكامل في عالمكم المادي وهذا بالرغم من أن الكثيرين يدعونه إلا أنه نادر وقد راح الكثير من الجن ضحية محاولات التجسد وفي المقابل لم ينج الكثير من الإنس الذين انتقلوا لعالمنا.

كان الطريق للقصر متكدساً بالحرس، لا نكاد نقطع مسافة قصيرة بدون التحقق من هويتنا والتأكد من أن الملك في انتظارنا، القصر بحد ذاته كان عبارة عن مدينة صغيرة تعج بالشياطين والمردة، لم يكن قصرًا فحسب وإنما مركزاً متكاملًا لتنظيم وتسيير شؤون ومشاريع المردة، بعد عبورنا من البوابة الرئيسية واجهتنا ساحة شاسعة في وسطها المبنى الرئيسي الذي يرتفع لمئات الطوابق على سطح الأرض وعشرات الطوابق أسفلها، وتناثرت حوله مجموعة من المباني بالإضافة إلى التماثيل العملاقة المنصوبة لملوك المردة والتي أتوا بها من مختلف الممالك، وتحت كل تمثال خطت عبارات بلغات لا أفهمها، أتذكر أنني رأيت بعضها عندما كان أبي يطلعني عليها، بعضهم عاش من آلاف السنين، نعم أتذكر هذا التمثال بالذات، إنه حنايل، تمثال لمارد عملاق يحمل صخرة عظيمة على ظهره، نحقت الكثير من الرموز عليها، هذا كان من

ذلك لسوسن مراراً.. وسأجرب حظي معكم: الحياة عبارة عن مجبوعة من الأبعاد المتداخلة، أغشية تغلف بعضها البعض، أضيقها هو البعد الذي يحسوي عالمكم، نعم بكل ما فيه من كواكب ونجوم ومجرات! تسمونه العالم المادي لأنه ملموس محسوس بالنسبة لكم، تتابع الأبعاد التي تغلف عالمكم بعوالم أخرى لا تشعرون بها: عوالمنا، عوالم الملائكة، عوالم الأرواح.. كل عالم يشعر بالعالم أو العوالم التي دونه فقط، ولا يمكن الانتقال من عالم لآخر إلا بقدرات خاصة، يهبها الله سبحانه لمن يشاء، أو باستخدام السحر المطلق وأسرار بابل أو بالحصول على امتيازات العقاريت والمردة. أقصى ما توصلت إليه علومكم هو أنكم اكتشفتم للتو بعض نظريات الأبعاد المتعددة، شاهدت الأفلام الوثائقية مع سوسن، أقتربت من حل اللغز من خلال النظرية التي سميتوها نظرية الأغشية أو الميمبرين. أعتقد أنكم بحاجة إلى بضعة عقود لإثبات وجود الأبعاد الأخرى الموازية لعالمكم بشكل علمي، لذا فلن أتعب نفسي الآن بزيادة من المشروحات المعقدة، فقط تخيلوا أننا عالمان متماثلان متوازيان نشعر بكم ولا تشعرون بنا. كما يهمني أن تعرفوا أن قدرة التجسد في العالمين هي السلاح الأقوى للعقاريت والمردة وهي تتفاوت من التأثيرات البسيطة

"لو لمستها والله لأمويتك"

فرد علي دون أن يخفي صوته المختلق:

"رح نشوف مين يموت الثاني بعد ما تخلص المقاتلة!"

أشار إليه رئيس الحرس بإشارة صارمة ليسكته ويدفعني أمامه وهو يقول:

"بس حوجن مسموح له بالدخول.."

هتفت جماري بهلع:

"حوجن! انتبه لنفسك! ربي يحميك!"

لم أسمع هذه العبارة سوى من أمي، يا ترى هل أسلمت جماري؟ سألتها دون أن أفتح فمي، فسقط بنظرة خاطفة وأجابتي هي بنظرتها الدامعة وأنا أبعد عنها والحرس يمنعونها من الدخول، قالت لي عيونها أنها سلمت نفسها لي في كل شيء. حجبني عنها الحرس الذين تجمعوا حولي بعد أن أدركوا مدى خطورتني وأخذوا يقفادونني وبدأ قلبي يخفق من شدة الخوف، ليس الخوف على نفسي،

مردة الملك سليمان ويحمل الكثير من أسرار مملكته.. اندهشت لدرجة أنني شعرت أنني أدخل عالم الجن لأول مرة! شعرت أنني أنتمي لعالمكم أكثر من عالمي.. لم أتوقع أن أجد كل هذا التنوع في مكان واحد، المردة والعفاريت من مختلف أنحاء الأرض، مختلف الأجناس والأعراق، وحتى الديانات، نعم قابلت الجن اليهود والمسلمين أيضاً، تتساءلون مألذي أتى بالمسلمين بين مردة الشياطين؟ المصالح! مثلي تماماً، المسمى الديني لا يزكي أحداً، فمنكم من يتنطع بالإسلام ويمارس أعمالاً لا تمارسها أعتى الشياطين!

عند مدخل المبنى استوقنا الحرس ونظروا إلي وكأنهم يعرفونني، وسألني أحدهم بطريقة روتينية صارمة:

"حوجن بن مihal الفيحي؟"

أومأت برأسي إيجاباً، فشدني بغلظة، وازداد تشبث جماري بذراعي ولكن الحارس الثاني سحب ذراعها بعنف فأطلقت صرخة ألم، فهجمت عليه لا شعورياً وقبضت على رقبته ورأيت عينيه تجحضان فهب زعنام لإيقافي وانقض علي مجموعة من الحرس لإبعادي عن زميلهم، واضطرب الموقف.. تركت رقبته دون أن أنزل عيني عن عينيه وقلت له وهو يتحسس ألامه:

ولكن الخوف على سوسن وجماري.. وازدادت دقات قلبي عنفاً
وأنا أقترّب من إيوان الملك هياف.. ملك المردة والشياطين!

(12)

أبي.. سأنقّم لك.. أو ألحق بك!

أنتم أيها البشر تحيرونني، تشبهون بالحياة بكل شراسة بالرغم من أنكم لا تمكثون فيها سوى سنين قليلة، من يموت في التسعين عندكم معمر وعندنا شاب لم يستمتع بحياته بعد. تقضون سنينكم القليلة في الصراعات والنزاعات الطاحنة واللهات خلف أطماعكم التي تطالونها -إن حالكم الحظ- عند اقترابكم من لحودكم. الإنسان بطبعه جشع منوع.. يؤوس ملوع.. قنوط جزوع.. مع علمه أن أجله مقطوع.. وأنه لن يموت من جوع! لو كنت إنسياً وأعلم أنني لن أعمر سوى ستين أو سبعين سنة فقط، فسأقضي هذه السنين القليلة بين أحبابي، أشبع منهم قبل أن أفارقهم وأندم.. كما تندمون أنتم. راودني هذا الشعور وأنا أقترب من المكان الذي قد ألقى فيه حتفي، قد يكون هذا آخر أيام حياتي، أربعة وتسعون عاماً مرت أمامي سريعة، فيما عدا الأشهر الأخيرة التي مرت ببطء شديد وتوقفت تماماً عند صورتين ملأتني وجداني: صورة سويس التي ترقد في المستشفى بين الحياة والموت، وصورة جماري التي تنتظرني بين المردة، كلاهما ليس لهما أمل في الحياة سواي.. إن كان هناك سبب يدعوني للتشبث بحياتي فهو أن أنقذ حياتيهما!

إيوان الملك يقبع في أسفل أدوار القصر، ساحة شاسعة مكتظة بمدرجات دائرية يجلس عليها حشد من أعيان المردة، تتوسطها طاولة مستديرة عبارة عن حلقة مفتوحة من ناحية بوابة الدخول، ارتص حولها وزراء الملكة وشيوخها، وفي الوسط تماماً مقعد تميز عن باقي المقاعد بارتفاعه وبعلامة منقوشة في أعلاه، علامة أعرفها جيداً، منتشرة عندنا، وعندكم أيضاً.. علامة إمبراطورية اللعين.

اقتادوني إلى وسط الطاولة الدائرية، هدأت الأصوات في الإيوان، وتطلعت الأعين تجاهي، شيوخ الملكة ينظرون إلي نظرات باردة، لا تبدو عليهم أي تعابير، أعتقد أنهم من المردة المعمرين، لا أستبعد أن يكون من بينهم من تجاوز عمره الألف سنة! دخل الملك هياف بحركة سريعة تنم عن جدية ونشاطه وانشغاله، اعتدل الحرس في وقفتهم ووقف الحضور فيما عدا الشيوخ الذين ظلت نظراتهم الباردة تجمدني في مكاني، جلس الملك هياف وأشار إلى الجميع فجلسوا وعم الهدوء والملك هياف متكئ بضجر يرمقني بنظرة متفحصة دون أن يتكلم، بدأت الهسبات المتوترة الخافتة في الإيوان.. أخرستها عبارة الملك المفاجئة بصوته الجهوري الأجش:

"حوجن.. ولك ميحال.."

نظر إلى الشيوخ نظرة ذات مغزى ثم استطرد وهو يتكئ على الحروف:

"الفيحي..! إش اللي جابك هنا؟"

استرجعت كل ما أملاه علي زعناب، واستجمعت أطراف شجاعتي وأجبت:

"جيت أبلغك إنني اتزوجت جماري بنت عمي سنوطل..
ويأسلمكم أول مولود لي!"

بقي الملك هياف متكئاً بخده على يده يعبث بشئ ما في يده، لم ينظر حتى إلي وهو يقول:

"وبعدين؟ اش المطلوب؟"

"تفك الربط عن سوسن الإنسية، وترجعوا فلوس
أبوها!"

اعتدل في جلسته وبدأ يصفق بيطة:

"كيف قتلت شني؟"

كيف عرف أنني أنا قتلت؟ ألم يقتلهم زعنام أن جدي قتله؟
وأنني تعاونت معه لقتل جدي؟ وأصل الملك هياف وكأنه يقرأ
أفكاري:

"لا يكون تحسب ولد عمك الأهل ضحك علينا؟ قال
إيه.. قال التفري الشايب قتل مارد.. لولا إني كنت
أبغى أقابك كان قتلت زعنام من زمان! ورينا كيف
طلعت الصرخة؟ أثبت لي إني أقدر أستفيد منك
عشان ما أقتلك وأقتل الإنسية حقتك!"

"ما أدري كيف طلعت!"

ألقي إلي بالشئ الذي كان يعيث به في يده، سقط ذلك
الشئ بجواري، إنه أحد هواتفكم النقالة، هاتف قديم من
أوائل الهواتف النقالة التي صنعتوها، كيف نقلوه إلى عالم
الجن؟ التقطته، وتعجبت عندما أمسكته بيدي بسهولة، لأول
مرة أمسك بشئ من عالمكم، كان في ذهن الملك هياف
سيناريو آخر لي:

"بصراحة.. كلامك مقنع ومفحم.. اش رأيك بالمره
نسوي لكم حفلة زفاف إنت والإنسية؟ وأوظف لكم
شوية مرده يخدموكم؟"

قهقه فجأ بضحكة عالية مستفزة، وضحك معه بعض الحضور
ربما من بطشه..

"لا.. بس تفك الريط عن سويسن، وتصرف المرد من
بيتهم.."

انتزعته إجابتي الصارمة من لحظته الصاخبة.. فضرب على
الطاولة بعنف وصرخ بغضب شديد:

"لا يكون صديقت نفسك؟ أنا مستحيل أصدق انه عرق
وادي فيج باقي له أي أثر بعد ما مات أبوك..!"

"أبويه انقتل!"

قلتها بغضب وتحد.. تلمحي واضح، ثار أبي قضية أخرى لن
أدعها تمر بسلام.. سأتفرغ لها بعد أن أضمن سلامة جماري
وسويسن! لم أكن أتوقع أن تترك ردة فعلي الملك هياف، الذي
قال باضطراب:

"سمعت إنك تلعب مع الإنس بأجهزتهم، تعرف تشغل هذا؟"

ألقيت به وأنا أهز رأسي نفياً، فصرخ غاضباً:

"يوووووه! أجل إيش فايدتك؟ أسمع يا حوجن، إنت عارف إنه المردة ما يقدرُوا يدخلوا بيوت الإنس بدون سحر أو عقد، وإنت عايش بين الإنس، تقدر تدخل أي بيت، عندك قدرات العفاريت وفوق كذا مسلم ما يَأْثُر عليك القرآن! تعرف لو رضيت تتعاون معنا إيش ممكن تكسب؟ ما تفرق معنا ديانتك وتتعبدين، كل اللي أحتاجه عقد تعاون خمس سنوات بس! وأنا مستعد أجيب المردة اللي يعالجوا أكبر أثرياء الإنس من المغرب وأعمالج الإنسية من السرطان.. ولو حبيت أخليك تتجسد في عالمهم بشكل أوسم إنسي وتتزوجها وتعيش معنا..!"

كان عرضاً مغرياً للغاية، ولكنني في المقابل يجب أن أكفر، لقد كفر الكثيرين قبلي من جن وإنس طمعاً في إغراءات المردة.. كانوا مقتنعين أنهم سيتويون فور تحقيق مكاسبهم من

الشياطين، ولكنهم أصبحوا عبيداً لهم، وإن أَرْضَى بالتنازل عن ديني ولو من أجل سوسن!

"أعطيك مهلة تفكر؟"

"أنا قررت.. ما أحتاج المهلة!"

"يعني موافق؟ نكتب العقد؟"

"لا أرفض!!"

"بحين اتأكدت إنك ولد ميعال! راسك يابس زيه!"

التفت ونادى بأعلى صوته:

"يا راعااالن!"

أضل من خلفه نار د عسلاق، يشع، وجهه مشوه، بيتسم ابتسامة تزيد بشاعة.. يحمل شيئاً أشبه بالسيف أو الفأس.. يجره من ثقله فيصدر صريراً مزعجاً أثناء احتكاكه بالأرض. اقترب مني ورمقني بعينيهِ التي فقدت إحداهما بريقها ولعت الأخرى مع إغراء الملك:

ذلك الشيء ليسطر رأسي إلى نصفين لا يتجاوز أجزاء ضئيلة من الثانية، ولكنني خلالها رأيت وجه سويسن، رأيتها تضحك لي، هل كانت ضحكاتنا تناديني؟ تودعني؟ تلاشت صورتها فتاديتها بأعلى صوتي.. صرخت باسمها..

يفترض في هذه اللحظة أن أكون في عداد الأموات.. ولكن مع صرختي تغير كل شيء حولي.. شعور لا يوصف! وكأنني انتقلت لعالم آخر.. لقد انتقلت لعالم آخر بالفعل! ظلام دامس، مياه باردة تغمرني من كل جهة، لا أستطيع أن أتنفس، أصارع المياه بكل قوة، يكاد قلبي ينفجر وأنا أستमित لدفع جسني بين المياه لألتقط أنفاسي، لم أستوعب وقتها أنني تجسدت في بُعدكم، مملكة ملج ليست إلا بقعة في قلب البحر الأحمر، لقد نجوت من سيف راعان لأغرق في أعماق البحر! أزداد عنف ضربات قلبي.. وقبل أن يتوقف انتقلت مرة أخرى لعالمنا. وجدت نفسي وسط الإيوان، تفصلني مسافة بسيطة عن راعان، نفس المسافة التي سبحتها وأنا في أعماق البحر، رأيته خلفي ينظر بدهشة للمكان الذي اختفيت منه، التفت نحوي فانقض علي بغضب وحول عنقي بذراعه وسمعت الملك شياف يقول وهو يراقب راعان يمرر نصل سيفه على عنقي:

"نفسك تصير وزير يا راعان؟ هذا خوجن ولد مباحل اللي شوه وجهك! هات رأسه وخذ المنصب!.. أه سامحني يا خوجن نسيت ما أعرفك على راعان.. أقوى مارء عندي.. الوحيد اللي قدر يقتل المارء الخاين.. مباحل!"

إذاً هذا المسخ هو قاتل أبي! اقترب مني وهو يضرب بسيفه الأرض ويقول:

"أكيد وحشك أبوك.. ولا يهملك! كلها لحظات وتلحقه!"

زادت سرعة حركته فجأة فأصيح على بعد خطوة مني، وهوى بذلك الشيء على رأسي مباشرة، لم يكن هناك مجال للفرار، سيصيبني بسلاحه العملاق لا محالة.. اندفعت بكل قوتي نحوه وارتطمت به فترنخ قليلاً ولطمني بيده لكمة ألقت بي على الطاولة الدائرية فتحطم جزء منها وجزء من جسدي. ارتبك الحكماء والشيوخ، فتسحبوا وغادروا القاعة مع مجموعة من الحضور بعد أن تحولت لسطحة معركة شرسة! لم يأت بهم الملك شياف الذي أخذ يتابع المعركة بجذل واستمتاع. اقترب مني راعان.. ألا مي لم تسمح لي بالتحرك هذه المرة، رأيت سيفه يرتفع ويهوي تجاه عيني.. فأغمضتها.. الوقت الذي يحتاجه

الوحيدة دون أن يبدي مقاومة.. وبسهولة انفصل رأسه وجزء
من كتفه وذراعه.. أمسكت بذلك الجزء وأنا لم أستعد توازني
بعد.. وألقيت به على حجر الملك شياف وقلت:

"أبويه يسلم عليك.. وهذي هدية منه"

"سلم لي على أبوك!"

شعرت بالسيف البارد على رقبتني، وتفجرت الأمي مع دمانني
وأنا أحاول التخلص من قبضته، استجمعت ما تبقى لي من
قوة وأمل، أخذت نفساً عميقاً وصريخت بكل قوتي، فشعرت
بالياء الباردة تتدفق داخل فمي وقبضة راعان لا تزال حول
عنقي، ولكنني تخلصت منها فلم يستوعب هو مفاجأة الانتقال
لعالمكم وتجربة شعور الاختناق والغرق. التفتت حوله واعتصرت
رقبته بكل قوتي، وهو يتخبط بعنف من الاختناق ومن المفاجأة،
لم أصب بالذعر هذه المرة، كنت على يقين من أنني سأعود
للعالمي في الوقت المناسب، وفعلاً بعد لحظة اختفى الماء
وسقطنا أنا وراعان وسط الإيوان بعد أن كانت الأمواج قد
رفعتنا، تجاهلت الأمي وتوجهت نحو سيف راعان الذي وقع
في المكان الذي كاد أن يذبحني فيه، تناولته، لا أعلم كيف
استطعت أن أرفعه.. كان راعان يسعل بشدة ويزحف على
بطنه، أعلم أنكم تتوقعون مني أن أبدي مواقف النبل والتسامح
والعفو والأخلاق الكريمة، ولكنني لا أعرف النبل والتسامح في
دم أبي.. لم أتعمد قتل أحد من قبل، ولم أكن أتخيل أن
التجربة ستمر بهذه السرعة، فقط رفعت ذلك الشيء.. تذكرت
أبي للحظة.. وهويت به على جسد راعان الذي جحظت عينه

(13)

حياتي وحياة إباد.. من أجل حياتك يا سوسن!

خرجت من ملاح شخصاً آخر يختلف تماماً عن الشخص الذي دخلها، خرجت أحمل عقد قراني بجماري، وعقد اتفاقي مع الملك ضياف الذي وافق على شروطي بعدما تأكد من قدراتي، قيل أن يصرف جنبي الربط عن دماغ سوسن طمعاً في الحصول على نسلي.. على ابني.. العقد ينتهي بعد مئة وخمسين يوماً بالضبط (فترة حملنا وإنجابنا)، لو لم يحصلوا عليه فسيقتلون الجميع بلا استثناء.. أنا وجماري وسوسن وعائلتها.. أنظر إلى جماري التي امتزجت هويتهما بسعادتها وهي تتبعني، لم تسألني حتى إلى أين سنذهب، لم تسألني أين سنسكنها، كيف سنأصرف عليها، لم تأبه حتى أنها تزوجتني لتقدم فلذة كبدها قرباناً لإنقاذ إنسية لا تربطها بها أي علاقة سوى كون زوجها مهووساً بها.. هل توجد من بين بنات الإنس من تقدم تضحية بهذا الحجم؟

وصلنا اليتمة، لا أعرف كيف سأواجه أمي بكل ما حصل، لا أعرف كيف سيكون وقع الصدمة عليها، ليست صدمة وإنما صدمات، دخلت اليتمة متوجهة لبیت شيخ اليتمة، أخو جدي إلياسين رحمه الله. هيئة جماري وملابسها كانت توحي إلى أنها أتت من مكان لا يعت لليتمة بأي صلة عرقية ولا دينية، النظرات المرتابة للتهمتنا، طرقتنا الباب ففتح الخادم وانطلق

بالعواطف التي حُرمت منها، عواطف الأمومة لجماري التي لم تر أمها قط، وعواطف الابنة لأمي. لم تسألني أمي عما حصل، احترمت خشيتي من المواجهة فتركتني وتقبلت الأمر الواقع، ما أعطيك يا أمي. ما يهمننا هو أن يطمئن كل منا على الآخر، وكان صمتنا كافياً لذلك.

حتى شيخ الينمة تغيرت نبرته معي وبدا أكثر ترحيباً بوجودي بينهم.

"يا حوجن يا وادي، أنا جهزت لك بيت تسكن فيه مع زوجتك وأهلك، اعتبرنا أهلك.."

"سيدي الشيخ، ماني عارف كيف أرد جمابيلك، بس أنا لازم أرجع للإنس وأنفذ وصية جدي إلياسين.. لازم أسافر الليلة"

"أوعدي لما تخلص ترجع تسكن عندنا.."

"أوعدك أزورك كل ما ألاقي فرصة."

ينادي أمي فورما رأيته، لا بد أنها تتمزق حزناً وقلقاً علي. مسكينة أمي، كم عانت بسببي، أتت راكضة لتستقبلني، وتباطأت حركتها عندما لمحت جماري، فاخترت أنا ما بقي من خطوات لأرتمي في حضنها الذي استقبلني بفطور، وانكفأت جماري على يد أمي وقدمها تقبلهما وهي تقول:

"كيف حالك يا أمي؟"

أمسكتها أمي من ذراعها ورفعتها من انحناءتها أمام قدميها وهي تقول:

"الله يحبك يا بنتي.. اتفضلتي.. اتفضلتي.."

لا يستطيع شخص على وجه الأرض أن يصف عظمة الأم، إحضاري لجماري لا يعني سوى أن هناك كارثة حصلت وكوارث أخرى ستحصل، ولكن أمي العظيمة استطاعت أن تمتص كل ذلك وتستقبل جماري بكل لطف، الأم تعرف كيف تنسج عواطفها لمصلحة أبنائها، تقسو عليهم لتدفعهم دفعا عن ما يضرهم، وإذا تضرروا تكون الملاذ الحاني لهم.. أما جماري فقد حملت أمي على أكفها، عاملتها كملكة وأكثر، عاملتها كوالدتها، رأيت كل منهما تغدق على الأخرى

بداخلها الأتربة لم يتغير فيها شيء منذ أن غادرتها سوسن، كانت الغيرة تلتهم ملامح جماري، فسوسن ابنة الإنسان المدللة التي حصلت على كل شيء حرمت جماري منه، الأسرة، البيت، حنان الوالدين و.. حبيها وهي في المقابل تضحي بكل شيء أيضاً من أجلها.. كانت جماري تمرر يديها على مقتنيات سوسن وملابسها وأثاثها، لأول مرة تدخل بيتاً من بيوتكم، اقتربت من مجموعة الصور على مكتب سوسن، صور لها وهي طفلة يحملها أبوها على كتفيه، صور لها في حفلة عيد ميلادها، وصور لها مع صديقاتها وصورة تخرجها من الثانوية بين والديها، كانت جماري تحاول جاهدة حبس دموعها، لا أعلم إن كانت تلك الدموع حزن على سوسن أم غيرة منها..

"هذي سوسن؟"

أي رد من جهتي سيفضح لفتني عليها ويفجر غيرة جماري فاكتملت بالإيماء..

"معقول عمرها 23 سنة بس؟"

لم تطفئ إيماءاتي نار جماري، فواجهتني ونظرت إلى عيني مباشرة وهي تسألني بالإعاج..

تمزقت أمني حزناً ونحن نغادرها، ألحت علي أن تأتي معي ولكنني رفضت وبشدة، لا يمكن أن أعرضها لأي مخاطر، قالت لي بعد أن نثت من توسلاتها:

"حوجن، أوعدي إنك بترجع لي بخير"

اعتصرت عبارتها قلبي وألجمت لساني فأجابتها جماري:

"لا تخافني على حوجن يا أمني"

نقلت أمني رجاءها لجماري وقالت:

"انتبهني على حوجن، وعلى نفسك يا بنتي.."

ضمتها جماري وهي تبكي وتقول:

"حوجن في عيوني يا أمني"

انضمت إلى حضنهما، وانطلقنا أنا وجماري، ليس لنا مكان نسكنه سوى بيت الدكتور عبدالرحيم، بيت سوسن.

طلبت من جماري أن ترشح في الغرفة التي كنت أسكنها في حديقة المنزل ولكنها ألحت علي أن أرينا غرفة سوسن، لحسن الحظ كان شباكها لا يزال مفتوحاً، الغرفة التي تكبدت

فسيصبح الدكتور وأسرته تحت سيطرة اللعين وشياطينه!
انطلقت إلى المستشفى، خرجت سوسن من غرفة العناية
المركزة ولكن أسرتها لم تخرج من الصدمة، ترقد على
سريرها، اختفت كل الأنابيب، ما عدا ذلك المتصل بوريدها،
الدكتور يطمئن والدها:

"الحمد لله حالتها مستقرة، اليوم أول مره تفوق من
غيوبتها، اختبار الوعي والإحساس إيجابي، رج
نخليها هنا يومين كمان عشان نطمئن عليها، وبعدها
تقدر ترجع البيت ونبدأ في كورس العلاج الكيماوي.."

قاطعه الدكتور عبدالرحيم بمزيج من الأمل واليأس:

"يعني فيه أمل يا دكتور؟"

"الأمل بيد الله، والطب يتطور يوم بعد يوم، خلي أملك
يا الله كبير يا دكتور.."

"ونعم بالله.. ونعم بالله.. الحمد لك يا رب والشكر.."

كان الإثنين يقفان عند باب الغرفة ويهمسان والسيدة رجاء
نائمة على الكرسي الذي لم تذق النوم على غيره منذ أسابيع..

"قول لي يا حوجن تحبها؟"

أشحت بنظراتي هارياً منها ولكن نظراتها طاردتني:

"جاوبيني يا حوجن.. إنت تحب سوسن الإنسية؟"

"جماري، سوسن من عالم وأنا من عالم! أنا ورطتها
مع المردة ويألف وصية جدي إنني أخلصها وأخلص
أهلها منهم.. أما إنت يا جماري بنت عمي و..
زوجتي!"

"يس؟!"

أعزف أن إجابتي غشلت في جبر خاطرها، بل حطمت تماماً..
حاولت أن أرقع إجابتي ولكن كرامة جماري رفضت ترقيعي:

"أعتقد إنني تعديت حدودي.. لازم تروح تطمئن
عليها.."

أشاحت بوجهها ونزلت إلى الحديقة لتطلق العنان لدموعها.

يجب أن أتصرف بسرعة، أهم شئ الآن هو أن أصل إلى
الدكتور عبدالرحيم قبل أن يذبح التيس، الملك هياف وعدني أن
يصرف المارد عن دماغ سوسن، ولكن لو تم ذبح التيس

الجمه الرعب! نظرت إلى الشاشة فرأيت أن المكالمه انتهت، فضغمت على زر الاتصال وظهر أمامي اسم أبو عطية ورقمه ولكن الجهاز انسل من يدي وسقط، حاولت أن ألتقطه ولكن بلا فائدة، لم يلبث في يدي سوى لحظه كانت كافيه أن أحفظ رقم أبو عطية! سقط الجهاز على الأرض وانطلق منه صوت أبو عطية المتوتر ولكن الدكتور عبدالرحيم لم يتجرأ حتى على التقاطه.

كل ما يمكن أن يوصلني بعالمكم الآن هو رقمان، رقم أبو عطية ورقم إياد.. لم أخبركم كيف حصلت عليه، في تلك الليله عندما حاولت التواصل مع خلود وظهر أمامها رقم سوسن وأصيبت بالذعر ورمت بجهازها، حاولت جاهداً أن أرفعه، أو حتى أن ألمسه، محاولاتي اليائسه وأنا أحرك أصابعي على شاشته بدأت في تحريك قائمه الأسماء، واستطعت أن أصل إلى إياد باستماته، وحفظت رقمه.

الآن حان الوقت أن أستعين به لإنقاذ سوسن، تأثيري على عالمكم شبه معدوم، كمن يشاهد فيلماً سينمائياً ويحاول تغيير أحداثه. لا بد أن أصل لأحد المحتلين ليعاونني على صياغة الأحداث.. لابد أن أصل لإياد!

تلقي الدكتور عبدالرحيم اتصالاً فاستعجل في توديع الدكتور ليرد على الاتصال الذي أربكه جداً فخفض صوته وهو يتحدث:

"ايوه ايوه يا أبو عطية، قلت لك المبلغ مو كامل! ماتني عارف أدبر الباقي! أخذت ثلاثه قروض من البنوك وقرض من العمل ورهنت البيت وبيعت السيارة واستلفت من كل اللي أعرفهم"

اكتست ملامحه بالرجاء وهو يواصل:

"بس مليونين كثير يا أبو عطية! عندي مليون ونص تقريباً ما ينفع يأخذهم وأوعده أسد له الباقي بعتين، بنتي بتروح مني!.. تسلم يا أبو عطية.. ماتني عارف أودي جمالك فين!"

ذلك الوقت أبو عطية لا بد أن أصل إليه وإلى صديقه المشعوذ قبل فوات الأوان! ولكن كيف؟ لا بد أن أرى رقمه، مددت يدي بانفعال إلى الهاتف بعد أن أبعد الدكتور عن أذنه، قبهضت بيدي عليه، فأحسست به! نعم! قطعة صلبة ملأت كفي.. سحبته فتحرك في يدي وأقلت من يد الدكتور عبد الرحيم الذي

في تلك اللحظة سمعت صوت السيارة، لقد عاد الدكتور وهتان، فقلت لإياد بكل توتر وتوسل:

"ادخل الفيسبوك عشان سوسن!"

تركت السباعة فوقعت في اللحظة التي فتح فيها هتان الباب فزع الاثنان وصرخ الدكتور وهو يفتح الأتوار:

"مين هنا؟ مين؟"

ليس لدي وقت لأضيعة، فانطلقت إلى غرفة سوسن وأنا أدعو الله أن يكون في بطارية الآيباد ما يكفي للحديث مع إياد، مددت يدي للآيباد، ضغطت الزر فأضاءت شاشته، حركت أناملي عليه باحثاً عن الفيسبوك، فتحت به معرف سوسن وبالفعل وجدت إياد فبدأت الحوار معه:

"إياد.."

"مو معقول! إنت مين؟ هتان؟"

"لا.. أنا بأحاول أنقذ حياة سوسن.."

"إنت مين؟ اتكلم!"

عدت إلى البيت، جماري لم تنم طبعاً، جلست بجوارها، ضميتها، فأننا مدين لها بحضني.. لم يبق لها غيره، ولم يبق لي غيرها.. شعرت أن جبل همومي وأحزائي تنحى عني قليلاً خجلاً من حضنها. نامت جماري ببراعة طفلة تعبت من اللعب. دخلت بيت الدكتور واتجهت فوراً إلى الهاتف في غرفة الجلوس، استجمعت قواي، حركت يدي على الهاتف إلى أن تحرك ووقع على الأرض، التقطته قبل أن يقع، رفعتة وبكل سرعه وتوتر أدخلت رقم إياد، فشلت في المحاولة الأولى قبل أن أدرك أنني يجب أن أعكس الأرقام من اليسار لليمين، سمعت صوت النغمة المتقطعة قطعها صوت إياد:

"ألو؟ مرحبا.."

"إياد؟ إنت إياد؟ تسمعني؟"

كنت أتكلم ولكن إياد لا يجيبني، كنت أهز الهاتف في يدي وأصرخ، وفجأة انطلقت صرختي باسمه فرد علي يذعر:

"ايوه أنا إياد؟ مين إنت؟ اتكلم إنت مين؟"

"مهما كان؟"

"مهما كان!"

"حتى لو لمستك؟"

"لستني؟"

"أتلبيسك! عشان أقدر أتعامل مع عالمكم وأساعد

سوسن.."

كثت أتوقع رفضه، أو هروبه، أو حتى صمته.. لكنه فعلاً

فاجأني وفي نفس الوقت فجر غيرتي:

"تعال يا خوجن، أنا مستعد أضحي بعمرى عشان

سوسن!"

"القصة طويلة، بس قبل لا تعرف أي شي لازم

تجاوبني: حياة سوسن تهمك؟"

"طبعاً تهمني!"

"لاي درجة؟"

"أكثر مما تتخيل.. بس إنت مين؟"

ضايقتني كلماته، طعنت غيرتي مرة أخرى، ولكن طز في

غيرتي.. طز في حياتي كلها من أجل حياة سوسن!

"أنا خوجن!"

توقف إياد عن الرد فضج رعبه وفضح أنه على اطلاع

بالقصص التي راجت في الكلية عن سوسن وعشيقها الجني..

شجاعة إياد هي الأمل الوحيد لإنقاذ سوسن ولن أستج له بأن

يتخاذل، حتى لو اضطررت لتهديده. أخرجه من صمته:

"خايف مني؟"

"لا! كيف أقدر أساعد سوسن! أنا مستعد أسوي أي

شي مهما كان!"

(14)

جنون جماری

أنا الآن في أمس الحاجة إلى تركيزكم، قبل أن أواصل لا بد أن تفهموا معنى الطلب، ومرة أخرى القضية ليست أبداً بالسطحية التي تتصورونها فاعذروني مسبقاً على أي تعقيد وغموض، سأحاول أن أبسط شرحي قدر الإمكان.. بعدكم أبسط من بُعدنا بكثير، الإنسان عبارة عن منظومتين متمازجتين: منظومة مادية بدائية يمثلها الجسم الذي يتكون من مجموعة من الأعضاء البيوكيميائية ليس فيها أي تعقيد سوى في الدماغ الذي يحوي مراكز التحكم والسيطرة المرتبطة بالمنظومة التي تنتمي للبعد الأسمى.. المنظومة الروحانية! لقد تطورت علومكم المادية كثيراً في حين تبادت علومكم الروحية، حتى الشعائر الدينية التي يفترض أن تكون مفعمة بالروحانية قتلتها فأصبحت طقوس وطلاسم ميتة بلا روح.. كسائر أنواركم الحياتية، كل روح مرتبطة بجسدها تسيطر عليه من خلال الدماغ، تتراخي هذه السيطرة أو تتلاشى أثناء النوم والغيبوبة حيث يفصل الإدراك الروحي عن مراكز التحكم في الدماغ ويسبح في البعد الأسمى، وعندما تحفز تلك المراكز تستدعي الروح التي تعود فوراً للسيطرة على جسدها، تنقلات الأرواح في البعد الأسمى لحظية، لا تكاد تحدها حدود زمانية أو مكانية، ولكن استيعاب

تأثير مس الجان ليخدع السذج.. وما أكثرهم! حالة التلبس الحقيقية تحتاج إلى تهيئة العديد من الظروف فالشخص الذي يتم تلبسه لابد وأن يكون في حالة بين الوعي واللاوعي، كما في حالة الانفعالات العاطفية القوية، كشدة الخوف أو الحزن أو الفرح، ولا بد أن يكون الجني مرن في التعامل مع الدماغ البشري، وهذه مسألة ليست سهلة أبداً.. لا بد من التدريب المتواصل إلى أن يتقن الجني التحكم التام في الجسد البشري.

سأعود للقصة الآن، قد أستطرد في شرح هذه الأمور في وقت لاحق كما شرحتها لإياد الذي لم يكن مهتماً بمعرفة كل هذه التفاصيل بقدر اهتمامه بمساعدة سوسن، أرسل لي خريطة بيته، أو بالأصح قصره! والد إياد الأستاذ منصور الزايدي، من عباقرة رجال الأعمال، انتقل إلى جدة منذ أن كان إياد طفلاً لمتابعة مجموعة مشاريعه العقارية في جدة ومكة، إياد ليس له سوى أخ وحيد من أبيه يكبره بعشرة أعوام وتزوج واستقر في الخارج، فبالقالي انصب دلال الأستاذ منصور وثروته على إياد، ليس ذلك فحسب بل انصبت آماله أيضاً على إياد ليمسك بزمام إمبراطوريته، إياد بطبيعته شاب مندفع يعيش الحياة التي حصل فيها على كل ما يحلم به أي شاب

خلايا مراكز التحكم في الدماغ لعودة الروح تكون بطيئة أحياناً.. وأحياناً تكون معطلة لدرجة تجد الروح صعوبة في الارتباط مرة أخرى بذلك الجسد فتحصل الوفاة، هذا سبب الكثير من وفياتكم الغامضة، وفي المقابل ينجو الكثيرون من موت محقق بسبب تشبث أرواحهم بأجسامها وقدرتها على التحكم بدمغتها.

ما يحصل أثناء التلبس هو ببساطة نوع من السيطرة على مراكز التحكم في الدماغ البشري في أثناء غياب جزئي لسيطرة الروح، وبالمناسبة أنتم تمارسون نفس الشيء فيما بينكم تحت مسمى التنويم المغناطيسي، وأحب أن أعلمكم أيضاً أن أكثر حالات التلبس التي تواجهونها ليست إلا تلبس ذاتي، نوع من الاضطراب الروحي حيث تقنع الروح نفسها أنها شخص آخر وتتقمص الدور ويصدق الجميع أنها تحت تأثير المس رغم أن الجن لا دخل لهم بها إلا في بعض حالات الشياطين الذين يوسوسون للروح لإيهامها بالتلبس، أي أن أكثرها ليست سوى نوع من الشيزوفرينيا، وهذا يبرر انتشارها بكثرة بين المهورسين بأمور الجن والشعوذة، بينما أكثرها وهم أو دجل أو تخايل باسم الغيبيات لدوافع شخصية، فمنكم من يقترب الجرائم وعندما يفتضح يدعي أنه كان تحت

"ماني عارف كيف أقدر أضيفك.. بس أعتبر البيت بيتك."

"لا تشيل هم.."

عكس المرة الأولى كان كلامي سلساً وواضحاً ومبصوحاً، كنت أسنع صدى صوتي يردده رخام المجلس وحيطانه فتأكدت أنني أصبحت قادراً على الكلام بسهولة وطلاقة دون الحاجة لأجهزكم!

كان إياد ينظر باهتمام تجاه الكنية التي أشار إليها وكأنه ينظر إلى شخص حقيقي، وأنا قدرت ذلك بالرغم من أن نظراته لم تكن موجهة لعيني، بادرني بالسؤال الذي يلتهم قلبه:

"حوجن أبغاك تشرحلي كل شي.. كل شي بالتفصيل.."

"القصة طويلة يا إياد.."

"أنا ما ورايا غيرك!"

الصحة المال الوسامة العقل والأخلاق.. عارض والده غي دراسة إدارة الأعمال وأصر أن يخوض المجال الطبي ثم يحضر الماجستير في إدارة الأعمال ليوفق بين طموحه وطموح أبيه.

وصلت إلى ذلك القصر في منطقة أبحر أقصى شمال جده في خلال دقائق بسيطة، فتح إياد باب القصر ووقف أمامه ينتظر، الظاهر أنه يسكن ذلك القصر وحده مع الخدم بسبب سفر والديه المتكرر، اقتربت من إياد، استجمعت تركيزي لأقتحم عالمكم وفمست بقرية..

"إياد.."

كنت أتوقع أن يصاب بالزعب، أو أن يتفاجأ على الأقل، ولكنه أجابني بكل هدوء وثقة:

"اتفصل يا حوجن.."

مشى أمامي وكأنه يراني.. تبعته إلى الصالون.. جلس علي الكنية وأشار إلي لأجلس في الكنية التي بجواره:

كدت أن ألقى بالهاتف من يده قبل أن يتفوه باسم أمه ولكن
فات الأوان للأسف! فأنهني الخبيث أبو عطية المكاملة باقتضاب:
"طيب معلش عشان أنا مشغول الآن بإسجل رقمك
وأكلمك أول ما أقضى!.."

بادرت إياد فور انتهاء المكاملة:

"ليه قلت اسم أمك؟!"

"أيش فيها؟"

"هذا الخبيث شكله متمرس في مواضيع الشعوذة،
طلب اسم أمك عشان يسأل المردة عنك ويتأكد إنك ما
بتجهز كمين! دحين خيعرف ويحسب ألف حساب،
ما حنقدر نوصل له!"

"يعني ضحك علي الحيوان! بسيطة.. ما أكون إياد
لو ما جيت لك خبره!"

"طيب أهم شي نستعد للمواجهة مع المشعوذ موسى
والمردة اللي معاه، لازم نوقفهم عند حدهم قبل لا
يذبحوا التيس! لازم نتدرب على التلبس.."

قضيت قرابة الساعتين وأنا أحكي القصة بتفاصيلها لإياد وهو
صامت، ينظر للفراغ الذي على الكنبه ويحبس دموعه المتحرقة
على سويسن.. توقفت عن الحديث فسألني وهو يتناول هاتفه..

"كم رقم الزفت أبو عطية؟"

اتصل بالرقم وأنا أمليه، وتحولت نبرته الغاضبة إلى نبرة هادئة
واثقة فجاء:

"السلام عليكم، أبو عطية؟ كيف حالك؟"

"وعليكم السلام.. هلا مين معاه؟"

"أنا إياد الزايدي، أهل الخير دلوني عليك، قريينا من
يوم ما سكن بيته بيشوف كوايس ويده تتمل، فقالوا
لنا انه البيت فيه نفس وانك تعرف شيخ يقدرنا
يساعدونا.."

"إنت إياد الزايدي؟ ولد نورة عبدالحسن؟"

"لا يمكن ملخبط، أنا والدتي منال العقيل"

"يعني قوتك بكاملها! البشر ما يستخدموا غير جزء بسيط من قدراتهم الجسمانية، أما طاقتهم الباطنة، أو الكامنة فتتفجر في المواقف الحرجة.."

"يعني شغل أدرينالين ونورادرينالين! حماس! أنا جاهز.. كيف نبدأ التدريب؟"

"لازم تكون في حالة بين الوعي واللاوعي.. وضروري تكون بعيد عن أي أشياء صلبة أو حادة.."

"طيب اللاوعي وفهمناها.. بس اش حكاية الأشياء الصلبة؟"

"الدماغ عضو حساس، وعملية التليس في البداية تصاحبها اضطرابات في كهرباء الدماغ وبالتالي نوبات تشنج وصرع.."

"طب هذا ما فيه خطورة على القلب؟"

"على فكرة أنا دكتور زيك.. لا تخاف رح أنتبه!"

بحث إياد في صيدلية المنزل ولحسن الحظ وجد الترامادول الذي يستخدمه والده لتسكين الآلام والذي يسبب حالة من

"طب ليش التليس؟ أنا أقدر أواجههم وأبلغ عنهم الشرطة وأرميهم في السجن!"

"أولاً لو دخلنا الشرطة رح يتورط الدكتور عبدالرحيم، وثانياً إنت ما تقدر تشوف المردة اللي مع المشعوذ وما تقدر تأثر فيهم!"

"يعني لما تلبسني حاقدر أشوفهم؟"

"أنا اللي حاشوفهم وفي نفس الوقت حاقدر أسيطر على جسمك عشان أتعامل مع الإنسان. أنا إلى الآن ما اتمرنت على التجسد الكامل في عالم الإنسان، ولما أنتقل لعالمكم أحس بضعف وبرد وكثمة وما أقدر أقعد فترة طويلة.."

"يعني جسمي رح يصير زي السيارة بالنسبة لك.. رح تصير تملك قوتي كلها!"

"بالضبط، ورح أطلع قوتك الباطنة.."

"الباطنة؟"

تجسدت في البعد المادي أمسكته من كتفيه هززته بقوة وأنا
أناديه، أملتة على جانبه، هدأت تشنجاته، استعاد وعيه ببطء،
وتحدث إلي بصعوبة:

"هه زبطت؟ كيف كان التيسر درايف؟"

يستطيع أن يمزح وقيل لحظات كاد أن يودع الحياة!

"لازم نتمرن أكثر من مره!.. تقدر تقويم؟"

نظر بعينين متناقلتين إلى مصدر صوتي ومد يده وهو يقول:

"تقدر تقوميني؟"

مددت يدي المتجسدة، قبضت على كفه لأ ساعده على
النهوض.. فبادرني:

"تعال بكره نكمل..!."

"نام كويس.. لازم جسمك يكون مرتاح!"

"استنى لازم أعطيك حاجة.."

دخل البيت وعاد بسرعة ليناولني هاتفه المحمول:

الخدر فتناول قرصين وخرجنا إلى حديقة المنزل.. تربع في
وسطها كأنه يحارس اليوغا عض على منشقة بين أسنانه وأغلق
عينيه، راقبت ألوان طاقته، حسنُ لن أدخلكم في دهاليز علمية
أخرى باختصار نستطيع أن نرى الطاقة المنيقة منكم والتي
تبين لنا الكثير عنكم، بدأ مفعول الدواء فتحركت بسرعة قبل أن
يسيطر النعاس على إباد، جلست مكانه تماماً وأغمضت عيني
وركزت على خفوت طيفه البنفسجي، يجب أن أحرص على أن
لا أتجسد في عالمكم أثناء المحاولة وإلا ساقطه، شعرت برجفة
شديدة في جسدي وأنا أنظر إلى يديه وهي ترتجفان
ويتقلصان، ازداد شعوري بالرجفة، أدركت للتو أنني أشعر
برجفته هو.. تصلبت سيقانه، شعرت بالألم الشديد في أنحاء
جسمي، حاولت أن أفتح يديه بلا فائدة كانت الرجفة تزداد
وعينيه نصف مفتوحة ومتصلة للأعلى وسيقانه تضرب الهواء
بشدة وأنا أشعر بكل ذلك! أشعر بكل التفاصيل، أشعر
بخفقان قلبه يشده داخل صدري.. لا بد أن أتوقف قبل أن
أؤذيه.. ابتعدت عنه بهدوء، زال إحساسي برجفته، ولكن رجفته
استمرت، بل ازدادت، تحول وجهه للون الأزرق وسالت رغبة
بيضاء من بين شفتيه، لا بد أن أفيقه قبل غوات الألوان! بعد أن
تأكدت أنني غادرت جسده ناديت بأعلى صوتي فلم يستجب!

"من الآن وصاعداً ما رح أستغرب من أي حركة
سحرية! شفت جوالي يختفي أمام عيني، طلعت كلها
حركات بسيطة! خلاص أنا أسد الفواتير وإنت دبر
نفسك في شحن البطارية، بس لا تطفري بيكالمات
دولية لخويك في بلاد الجن والعفاريت.."

ذكرتني دعابته بجماري، فودعته وعدت إلي بيتي، بيت
سوسن.. بصراحة أخذني الوقت لدرجة أنني نسيت وجود
جماري لوحدها كل هذه المدة، فرزت عندما لم أجدها في
غرفتنا في الحديقة، توجهت فوراً إلى غرفة سوسن، فأنا متأكد
أنها عادت إليها.. دخلت من شباك الغرفة قرأت آخر شيء
أتمنى رؤيته في هذه اللحظة.. رأيت سوسن!!

سوسن تجلس على طرف السرير، تلبس مجموعة من ملابسها
بشكل غريب جداً، قميص مقلوب فوق أحد الفساتين وتحت
جينز، كانت تحمل إحدى الصور بيد وبالأخرى تعبت بالوان
المكياج على وجهها بشكل مضحك وكأنها طفلة، إنها جماري!
جماري متجسدة بشكل كامل في عالمكم وتقلد سوسن! موقف
لا أستطيع وصفه، التفتت إلي وابتمت وهي تقول:

"خوجن إنت جيت؟ إش رأيك في شكلي؟"

"ما أدري تقدر تشيل هذا الجوال معاك؟ خذ هذا
جوالي الاحتياط عشان تقدر تكلمني أي وقت.."

تجسدت، تناولته.. نظر إليه وهو يرتفع بمحاذاة أذني فلاحظ
طولي..

"حسبتك عملاق يا راجل.. طلعت قليل!"

"خلينا نجرب.."

دقيت على رقمه الذي أحفظه عن ظهر قلب.. تناول جاوله
الأخر..

"أه Dr. E Z يتصل!"

"دكتور إي زي؟ إياد الزايدي؟"

"طبعاً.. اسم غله!!"

توقف تجسدي، فعدت وعاد الجوال معي في يدي، في عالمي،
حاولت أن أضرب الرقم ولكن الشبكة اختفت من الجوال، لا بد
أن أتجسد كي أتصل..

لقد جن جنونها! بل جن جنوني أنا! لماذا تفعل كل هذا بنفسها؟ هي أجمل مخلوقة رأتها عيناى! لماذا تشوه نفسها هكذا؟

"جمارى انا! هذا؟ أخرجني بسرعة قبل لا أحد يشوفك!"

تجاهلتني وهي تنظر للصورة سوسن بين صديقاتها وتلك مكياجهن..

"لحظة بس باقى شويه وأكمل.."

سمعت خطوات أقدام تقترب من الغرفة..

"جمارى فيه أحد جاي! يلا نخرج بسرعة!!"

لم تستجب.. بل تأملت وجهها في المرآة وهي تفارقه بوجوه البنات في الصورة

"يعني ما عجبك يا حوجن؟!"

لم أتمالك نفسي.. تجسدت في اللحظة التي فتح فيها الباب وأطل الدكتور عبد الرحيم بقلق وورع، اضطرت أن أصفع جمارى وأسحبها لبعدها ولكن بعد فوات الأوان، رأيت نظرة

الورع في عيني الدكتور بعد أنا رأى ابنته بهذا المنظر تختفي أمامه وتسقط ثيابها وصورتها على الأرض..

لم أتكلم مع جمارى كلمة واحدة، ولم أسمع منها سوى صوت دموعها، جمارى.. عفريتة؟ ولكن كيف؟ لماذا لم تخبرني؟.. كان قلبي يتمزق حزناً عليها، لأول مرة أحزن على شخص أكثر من حزني على سوسن، حاولت سحبها لحضني، فرفضت لشدة غضبها.. نظرت لعينيها مباشرة.. مسحت دموعها، فتفجر نهر دموعها وعادت لتدفن رأسها في صدري.. وأنا أمسح على رأسها وخديها..

"سامحيني يا جمارى.. سامحيني.."

(15)

سيطرت على إباد.. واللامبرغيني

أعتقد أن هناك علاقة قوية بين الأنوثة والطفولة، فالأنثى مهما
نضجت لا تبتعد كثيراً عن تلك الطفلة بداخلها، الطفلة التي لا
تستطيع السيطرة على دموعها ولا على دلائها، ولو تمررت
على طفولتها فهي تتخلي عن بعض أنوثتها! وجماري بهذا
المفهوم أنثى بامتياز.. هدأت دموعها ولكنها لم تتوقف، لم
تكفي بقايا دموعها لتنفيس آلامها فقررت أن تنفس عنها
بكلماتها، كانت تتكلم دون أن ترفع رأسها عن صدري.. ودون
حتى أن أرد عليها بكلمة واحدة.. طففتي الآن ليست بحاجة
إلى عقلي وعنطقي.. فقط تحتاج إلى قلبي ليصغي لها
ويمتص دموعها..

"طول عمري وحيدة! محرومة من حنان أمي.. وأبوي
ما عوضني عنها غير بقسوته! كرهت أهلي كلهم،
كنت أهرب منهم عشان ألعب لوحدي، الوحيد اللي
كان يحن علي هو عمي ميخال.. ما كنت أدري إنه
فيه عوالم غير عالنا، إلين ما زادوا الإنس في قماح،
كنت أشوفهم يوقفوا قواربهم عشان يرتاحوا بعد
الصيد، كنت أصحى من قبل المغرب عشان أراقبهم
من بعيد، حاولت ألفت انتباههم بكل الطرق.. ما
قدرت، في يوم دخلت سفينه أتفرج، وأنا في المخزن

وأنا عليها بدون ما أحس.. ما انتبهت إلا لما بعدنا عن قمارح.. اتشككت على شكل إنسية واتخيت، وصلنا قرية القصار ولقيت نفسي وسط الإنس، كلهم مستغربين مني يسألوني عن أهلي وأنا أبكي، إلين ما جاهم عمي ميحال متجسد على شكل شيخ وفهمهم إنه جدي، ورجعني البيت، في الطريق حلفني ما أقول لأحد إنني أقدر أتجسد أو أتشكل، لأتهم لو عرفوا ما رح يسيبوني. إنت أول واحد يدري إنه عندي كل قدرات الفيحيين بعد عمي ميحال، حتى زعنام ما يدري، أنا وإنت الوحيدين اللي نملك قدرات الفيحيين يا حوجن."

الآن فهمت سر رغبة أبي في زواجي من جماري، للمحافظة على نقاء النسل الفيحوي.. تتأقّل رأس جماري على صدري وتتأقّلت آخر كلماتها.. قبل أن تستسلم طفقتي للنوم.. وأسلم نفسي أنا له..

لم تمر سويغات حتى انطلقت موسيقي مزعجة فجأة فاكتشفت أن مصدرها جوال إياد، تجسدت بسرعة لأرد قبل أن يوقف جماري..

اتقفل علي الباب، اترعبت.. حاولت أفتحه ما قدرت! حاولت أخبط ما قدرت، بعدين من رعبتي حسيت ببروده وكتمه وكنت متأكدده إنني رح أموت.. قعدت أخبط على الباب، وهذي المرة حسيت بخبطة الباب على يدي غورتني، وسمعت صوتها.. كانت أول مرة أتجسد في عالم ثاني.. فتّح الباب ولقيت قدامي حسين، إنسي صغير غريب، كان يقدر يحس بي ويسمعني حتى من غير ما أتجسد ولا أتشكل، كنت دائماً ألعب معاه، تعلمت منه طبائع الأنس ولغتهم. وفي فترة بسيطة صرت أقدر أتجسد بسهولة من غير ما أنكتم، وصرت أقدر أتشكل لما أقابل حسين، كنت لما أوصل للمينا أرمي حجار على السفينة عشان حسين يعرف إنني جيت، ولكنه بعد فترة اختفى، قلقت عليه، صرت أدور عليه في السفن لما تجي بدون فايدة، حتى أبوه اختفى.. وبعد فترة لمحت أبوه واقف على سطح السفينة والناس متجمعين حوله، طلعت السفينة وسمعتهم يقولوا له: عظم الله أجركم.. الله ما أخذ والله ما أعطى.. وهو يبكي.. عرفت إن حسين مات بالحمى.. جلست أبكي على السفينة، وانطلقت

انطلقت إلى إياد، دخلت من بوابة القصر فوجدته جالساً على الأرض أمام شاشة تلفزيونه العملاقة وحوله كومة من الأفلام المبعثرة، عندما دخلت قال لي وكأنه يراني:

"اجلس يا حوجن؟"

"كيف عرفت إني وصلت؟.."

"خلاص أنا صرت أعتبر مخاوي ومحترف للخوارق وما وراء الطبيعة.. أوكي لا تصدق.. قلت أفضّل يا حوجن عشر مرات واتخيشت إلين ما حضرك شرفت وزبطت!"

"عينك كاتبا جمر.. إنت ما نمت؟"

"لا طبعاً! من فين بييجيني النوم بعد اللي حصل؟.. لك في الأفلام يا حوجن؟"

"عالمنا ما فيه سينمات!"

"ضحكني! حتى إحنا ما عنينا سينمات! تعال شوف هذي كل الأفلام اللي تتكلم عن الجن والأرواح والتلبس.."

"إياد؟"

"المقروض تشوف المتصل قبل لا ترد يا كابتن! لا تروح ترد على أحد ثاني بالغلط وتودينا في داهية.. المهم تعال خلينا نكمل تمرين!"

جماري التي استيقظت على صوت الهاتف المزعج اعترضتني وأنا أهم بالذهاب:

"فين رايح؟ إنت ما لحقت تمام!"

"رايح لإياد!"

"خاروح معاك!"

"لا خليك هنا، لازم أحد منا يجلس هنا، ممكن المشعوذ يجي في أي لحظة.."

"طلب لو جا المشعوذ اش أسوي؟"

ناولتها هاتف إياد..

"هذا جوال، تقدرني تستخدميه بكل سهولة.. هذا رقم إياد.. أضغطي عليه عشان تكلميني لو حصل شي"

أي منوم مغناطيسي مبتدئ يقدر يظليكَ تقتنع انك
ضفدع مثلاً وتتصرف زي الضفادع.."

"يعني ما فيش حاجة اسمها سحر وعين ومس؟"

"طبعاً فيه، بس مو بالطريقة دي، تلاقي ناس عايشين
حياتهم موسوسين انه كل مشكلة يواجهوها سببها
عين وسحر ويلجأوا للناس والجن عشان يعالجوهم من
أمراضهم الوهمية، وناس يسترزقوا من ورا جهلهم
وقلة إيمانهم"

"أسمع، أنا باقيلي تكة وأفضل! قول لي كلام علمي
أفهمه!!"

"روحك.. أقصد عقلك الباطن يقدر يسيطر على كل
شي في جسمك.. أهم شي تقدر إنت تسيطر عليه!
كيف تفسر تشابه طقوس تطليع الجن في كل أنحاء
العالم وفي كل الديانات؟ وإذا كانت مظهر ديني ليش
ما سمعنا إنه أحد من الصحابة سواها؟ وليش ما
تلاقي هذي الظاهرة منتشرة غير في المناطق اللي
أهلها مهوسين بمواضيع الجن والسحر والمس؟
الموضوع يبدأ بوسوسة للشخص إنه ملموس أو معيون

شاهدت معه مجموعة من اللقطات لأفلام أجنبية للمتلبسين
والقساوسة الذين يخرجون منهم الجن.. فبادرني بسؤاله:

"نفس الشئ بيحصل عندنا، فيه بزئس كبير يعتمد
على تطليع الجن والسحر والعين.. شايف اللي
بيحصل للمتلبسين؟ أنا بيحصل في نفس الشئ
صح؟"

"صح.. لكن هذولا ما هم متلبسين!"

"إنت بتجنسني؟ شوف اش اللي بيحصل لهم،
بيتنفضوا ويسووا حركات غريبة ويتكلموا كلام غريب
بأصوات مرعبة.."

"أكثرها تقمص.. مو تلبس!"

"يعني أنا دحين جالس بأكلم نفسي وأتمص دور إنه
فيه جني جالس جنبي يطق حنك؟"

"لا طبعاً.. بس لازم تفهم إنه الروح.. أو خيلنا نقول
العقل الباطن له أسرار كثيرة وقدرات كبيرة.."

أو مسحور، قد يكون مصدر الوسوسة الشياطين، أو الناس اللي حوليه، أو حتى من نفسه، تتراكم هذي الرسائل وتقوى حتى تتبرمج كقناعة في عقله الباطن ولذا تبدأ طقوس تهليل الجن يتم تنويحه مغناطيسياً فيستجيب العقل الباطن ويتصرف على أساس أنه فعلاً ملموس وردة فعله للشيخ أو القسيس أو حتى الكاهن تكون مبنية على قناعاته.. المهم إنت ليش تسأل كل هذي الأسئلة؟ خايف؟

"أنا أخاف؟ تعال معايا وأنا أوريك الخوف من جد!!!"

تناول حقييته وانطلقت خلفه، فتح بوابة القراج فظهرت سيارة رياضة لم أر مثليها على الطرقات، حمراء منخفضة مضلعة على مقدمتها صورة ثور وعليها لوحة تحمل حروف اسم إياك والرقم 1111..

"هذي اللي رح نرعبنا أنا وإنت.."

"هذي السيارة؟"

"ياخي حرام عليك؟ سيارة؟ هذي لا مبرغيني.. لا مبررغينييي!"

"أش تفرق عن باقي السيارات يعني؟"

"هذي الله يسلمك زي السوناتا بالزبط بس تقدر تسشي 360 كيلو في الساعة.. آاا وكمان سعرها مليون وشوية! أطلع بس أطلع!"

فعلاً السيارة غريبة.. بالذات بابها الذي يفتح للأعلى، جلست بجواره، ضغطت على زر التشغيل قانطلق هدير المحرك..

"شوف يا حوجن، السوافة ماغيث أبسط منها، هذا الدريكسون تلفه يمين وشمال.. وهذا البنزين عشان تسرع وهذي الفرامل عشان توقف!"

"إنت بتعلمني؟ ليش؟"

"عشان هذي الطريقة الوحيدة اللي نقدر نحط فيها عقولنا الباطنة على قولك تحت ضغط وتحدي عشان نتكلم والتلبس يزبط!"

"ما فهمت!"

"تحين تفهم!"

وداس على البنزين فانطلقنا بسرعة، لم يدع لي فرصة لأعترض، بدأت ألاحظ يديه تتراخيان وجفناه يتثاقلان، ركزت على طاقة جسمه، شعرت بيديه، رأيت الطريق أمامي والسيارات مندفعة صويي، بدأت أصابع إيداي بالانكماش وازدادت رعشته، حاولت التحكم بساقه ولكنها تصلبت على البنزين ونحن مندفعون نحو حافة الكوبري، حاولت بكل قوتي رفعها إلى أن استجابت قدست على الفرامل بقوة فتوقفت السيارة بشكل مفاجئ وسمعت أصوات فرامل السيارات خلفي تكاد تصطدم بنا، ارتطم رأس إيداي بعنف في دريكسون السيارة فشعرت بألم رهيب في جبهتي وأحسست بخط من الدماء الساخنة على جبينني استطعت أن أدوس على البنزين بعد أن سيطرت بشكل كامل على إيداي وسيارته، وانطلقت مبتعداً عن السيارات وعن أصحابها الذين لاحقونا بأبواقهم الغاضبة وشتمانهم البذيئة.. لم تمض لحظات حتى أصبحت أقود ذلك الشيء بسهولة، انطلقنا في طريق المدينة، دس على البنزين ورأيت عداد السرعة يقترب من حافته وأنا أناور بين السيارات التي تمشي ببطء شديد وأراها تمر بجوارنا كأنها خطوط لا يقاطعها سوى ومضات الكاميرات التي على جانبي الطريق.. بالرغم من كل هذا لم تكن سريعة بالنسبة لي، بهذا

قالها وأفرغ محتويات حقيبته فتساقطت مجموعة من الأدوية وعلى مشروب الطاقة، تناول الترامادول الذي يسبب ارتخاء وخدر ودواء آخر، فسألته:

"اش هذا الدواء؟"

"دكتور وما تعرف التيفراتول؟ دوا تخفيف كهرياء الجسم والدماغ! جبت كمان ريد بول عشان لو احتجت أفوق وأصحصح! بس أهم شي دوا الهيغي ميتال!"

قالها وضغط على زر فانطلقت موسيقاه المزعجة جداً بأعلى صوت وبلغ كبسولتين من كل دواء وانطلق بالسيارة خارجاً من بوابة بيته..

"أسمع يا حوجن.. عندك خمس دقائق تراقبني وأنا أسوق عشان تتعلم، بعدها رح أبدأ أنعس، وقتها لازم تتولي إنت قيادة السيارة وقيادة جسمي كمان.. شوف لو حصل لي أنا أي شي مو مشكلة! بس لو حصل شي للسيارة والله لأحرقك فاهم؟!"

"يخرب بيتك يا حوجن.. اش هبيت؟"

أطل رجل الشرطة من النافذة وألقى نظرة على الأدوية التي تناثرت في كل مكان وعلب مشروب الطاقة، وعلى وجه إياد بعينيه الناعستين المحمرتين وخط الدماء المنساب من جبهته على خده، حاول إياد امتصاص غضب الشرطي كمن تعود على ذلك..

"السلام عليكم.. كيفك يا نقيب.. آآ فهد.."

"خير انشاء الله؟ اش فيك؟ راكبك عفريت؟"

"آآ.. جن وعفاريت؟ لا طبعاً عمتي في العناية المركزة في المدينة كلوموني عشان بيعملوا لها عملية قلب مفتوح ولازم أتبرع لها بالدم أديني خمسين مخالفة لو حبيت بس خايني الحق عمتي!"

كانت نبرته مقنعة ولكنها لم تقنع الشرطي بشكل كامل، فاكتفى بأخذ رقم لوحة إياد، فأنطلق إياد وهو يشرب مشروب الطاقة بنهم:

السرعة لن نصل لليثة قبل ساعة، بينما أستطيع وأنا في عالمي أنا أذهب لليثة وأعود في نصف ساعة!

رأيت سيارة شرطة في الأفق، أشعلت جميع أضواءها وأطلقت جميع صافرتها ونحن نقرب منها ونتجاوزها بجنون، خفت أن أسبب المشاكل لإياد فتتحيت إلى جانب الطريق ودست على الفرامل فتوقفت السيارة بعنف مرة أخرى، وتمالكت نفسي هذه المرة كي لا يرتطم رأس إياد، وتوقفت خلفي سيارة الشرطة وتفادى سائقها الاصطدام بنا بصعوبة.. غادرت جسم إياد بسرعة وراقبت رجل الشرطة الذي أجرى حواراً في جهاز اتصاله قبل أن يأتي إلينا، سقط جسد إياد على الدريكسون فورما غادرت، تجسدت لأهزه بقوة وأيقظه قبل أن يصل رجل الشرطة.. استيقظ بثقل وهو يتحسس الجرح في رأسه ويتلفت حوله ليستوعب ما حصل..

"أنا لسه حي؟ السيارة جرالها شي؟ إنت هنا يا حوجن؟"

نظر في المرأة ليرى رجل الشرطة الذي تقدم بغضب نحو السيارة فأطلق الموسيقى الصاخبة بسرعة وهو يقول..

" شفت كيف خطتي نجحت!! كنت متأكد إنها
حتنجح!"

"كنت حتودينا في داهية!"

"كنت خروح الداهية لوحدي! وبعدين مين اللي وصلنا
المدينة في ساعة يا حوجن شوماخر!"

انطلق صوت جوال إياد المتصل بسماعات السيارة، ضغط
على زر الرد في دريكسون السيارة فظهر Dr. E Z على
الشاشة وانطلق صوت جماري التي كانت تتحدث بكل توتر
ولكن بلغتنا التي لم يفهمها إياد، كانت تصرخ وتقول:

"تعال يا حوجن.. تعال بسرعة!"

(16)

موسى تاكاو.. وشياطينه!

الدكتور عبدالرحيم سعيد.. رجل ذو عقل وعلم ودين وأخلاق، جميع المقومات التي تبقى في منأى عن الدجل والاحتراف العقدي، ولكن عيبه الوحيد هو أنه.. إنسان! أتمنى أن لا تغضبكم صراحتي، ولكن هذه هي الحقيقة، الإنسان يعاني من نقطة ضعف خطيرة.. التعلق بالذوات. منذ أن هبط أيوكم سيدنا آدم إلى الأرض وحتى اليوم وأنتم في المعركة الأزلية مع الشيطان.. ومع أنفسكم الضعيفة، التي استطاع الشيطان فهمها بشكل كامل، والتلاعب بأوتارها، القرآن الكريم يعلمنا جوهر التعلق بالله والتوكل عليه ويحذرننا من الشرك، وأنتم تعتبرون تلك التحذيرات مجرد سرد تاريخي لقصاص الأمم البائدة أنتم منزهون عنه، ولكن الواقع المؤسف يثبت عكس ذلك. من الحمق أن نعتقد أن الشرك هو فقط في السجود لحجرة أو بقرة، الشرك بذرة في القلب تجعله يتعلق ويؤمن بغير الله.. ولذلك علمنا المصطفى أن نتعوذ منه.. لأنه لا يأتي بلافة، بل يأتي متخفياً متستراً بستار ديني.. فالشرك على قناعة أنه يتقرب إلى الله من خلال ذلك المتليس بالدين، فينزهه ويقدسه ويتبعه اتباعاً أعمى، ويعتقد أنه شخص خارق موكل بمصائر الناس، أو بأرزاقهم، أو بشفتيهم، أو حتى بضمانهم ودينهم، والدكتور عبدالرحيم وقع في ذلك المزالق الخطير، حاجته المادية

بمظروف كبير، أمامه يجلس موسى تاكاو الإفريقي الضخم على ركبتيه مشمراً عن ساعديه وممسكاً بالتيس وموجهاً رأسه عكس اتجاه القبلة ويتمتم ويجواره الدكتور عبد الرحيم ممسكاً السكين بيده وبجوارهم يقف المارد الشاهد والدكتور يردد ما يقوله المشعوذ:

"باسمك يا منان.. منان منان.. نان نان.. بحق الملك حاران.. يصرف سكان المكان.. يامنان منان."

كانت يده ترتجف، وعيناه مغمضتان، وقبل أن يمرر السكين على رقبة التيس.. انفتح باب الفيلا أمامه، فاطلت.. سوسن! وقفت أمام والدها مباشرة.. ترتدي عباءة، حاسرة عن رأسها.. شقيق الدكتور عبد الرحيم شهقة رعب وهي تقول:

"حرام يا بابا!"

أصبحت بالشلل من الموقف، لا أعرف ماذا أفعل! لو تدخلت لإيقاف الدكتور بالقوة فسيشهد المارد الشاهد أن الدكتور نوى الأضحية وأنا الذي تدخلت لأوقفه، صرخ أبو عطية لينتهي لحظة الشلل:

"سوسن منومة في المستشفى! هذي شيطانة المكان!"

جعلته يطمع في وعود موسى تاكاو المشعوذ المتمشيع، وتفاقت حالته فوجد نفسه مخيراً بين التضحية بحياة ابنته وبين تنفيذ مطالب المشعوذ!

انتشلتني صرخة جماري.. لو انطلقت لبنت سوسن بأقصى سرعة لن أصل قبل عشر دقائق، قد يكسب الشيطان جوائته في هذه الدقائق.. ويذبح الدكتور عبد الرحيم التيس، وعندما لن يبقى لي أي شيء أقدمه لسوسن سوى الدعاء فقط.. لأن بيتها سيتحول إلى مستعمرة شياطين.. يجب أن أنطلق بأقصى سرعة! ويجب أن يلحقني إياد، فربما أضطر لمواجهة المشعوذ بشكل مباشر، ولكن إياد لن يستطيع قطع المسافة في أقل من ساعة بسيارته، عندما انطلقت صرخة جماري تجسدت للحظة لأفتح الباب وانطلقت وأنا أقول لإياد:

"ألحقني على بيت سوسن.. بسرعة!"

"ما أعرف مكان بيتها!"

لم أحبه، واثق من أنه سيتصرف، يمكنه الاتصال بصديقاتها. تجاهلت سؤاله وفي دقائق قليلة كنت أتجاوز سور البيت لأرى منظراً فظيلاً! على عتبة باب الفيلا أبو عطية واقف وممسكاً

"حوجن الجرح بسيط.. روح الحقهم لا يذبحوا

التيس!"

"إنتِ أهم!"

"من جد يا حوجن؟"

قالتها وكأن كلمتي داوت جرحها أكثر من الأدوية والضمايدات التي انهمكت في لقها بمهارة حول جرحها بحكم خبرتي، كانت تراقبني بابتسامة حب، هل يعقل أن تفعل فيها كلمة عابرة كل هذا؟ كادت أن تُذبح قبل لحظة بسببي.. والآن تصب علي الحب من عينيها فقط لأنني أشعرتها بأهميتها!

لا أعلم ما الذي دار بين الدكتور والمشعوذ في تلك الأثناء، سمعت صوت محرك سيارة أبو عطية فقبلت جماري بسين عينيها:

"سامحيني يا جماري لازم الحقهم، هذي الفرصة

الوحيدة إنني أمسك المشعوذ.."

"لا تقول سامحيني.. أنا ملكك يا حوجن!"

في نفس اللحظة استل المشعوذ السكين من يد الدكتور وهجم على سوسن، أو بالأصح على جماري التي تشكلت بشكل سوسن لتوقف الدكتور.. الآن أستطيع أن أتدخل!.. الآن يجب أن أتدخل! لا أدري إن كنتم تعرفون هذه المعلومة أم لا.. الروح تغادر الجسد عند الوفاة في أي بعد، حتى أثناء النوم، لو حلم أحدكم أنه قُتل واقتنعت روحه بذلك فإنها لا تعود إلى جسده. وهذا ينطبق علينا نحن أيضاً، بل بالعكس عندما نتجسد في عالمكم نكون أضعف وأكثر عرضة للإصابة.. والوفاة! لذا أحتاج إيداً في هذه اللحظة بالذات لاستخدم جسمه دون أن أتجسد وأفقد قوتي!.. اندفعت نحو المشعوذ الذي وجه السكين نحو نحر جماري، ولكنها لحظة واحدة فقط.. كيف سأتجسد وأنقذها في لحظة؟ كيف ستعود هي لعالمنا في لحظة؟ لم تؤثر اندفاعتي فيه، وصرخت جماري والسكين تمزق جلد رقبته! وفجأة سقط العملاق، دفعه الدكتور عبدالرحيم بعنف وأسقطه، لم يحتمل فكرة أن يرى ابنته تذبح أمامه وإن كان مقتنعاً أنها شيطانة متكررة! واختفت جماري وسقطت العباءة على الأرض، وسقطت السكين أيضاً، وعليها آثار دماء.. دماء جماري! جن جنوني! تركتهم وحملت جماري بين يدي..

فانعطفت خلفه لاكتشف أن الطريق مسدود، فأوقف أبو عطية سيارته وخرج المشعوذ متجهاً للمبنى في آخر الشارع، حاول أبو عطية أن يسير بسيارته للخلف وينفذ من المسافة الضيقة التي تفصل سيارة إياد عن الحائط، لم أعرف كيف أعود بالسيارة للخلف فتقدمت نحوه مضيقاً الطريق فاحتكت سيارته بسيارة إياد من جهة وبالحائط من جهة أخرى.. واستطاع أن ينفذ ويفر، لم أضيع وقتي معه، فالمشعوذ عندي أهم! خرجت من السيارة واتجهت بسرعة للمبنى، وقبل أن أصل إليه نزل عملاقان ليستقبلني أحدهما بلكمة في بطني شعرت بألمها في عمودي الفقري! سأعتمد على بنية إياد الرياضية وعلى ما نتمتع به من سرعة بصرية لقتالهم، أخذت وضعية دفاعية، حاول العملاق الآخر أن ينقض علي بلكمة أخرى فأشحت بوجهي جانباً ليفقد توازنه بسبب اندفاعه وأجد رأسه هدفاً سهلاً أمام قبضتي، أقصد قبضة إياد، استجمعت قوتي وانطلقت بها نحو فكه مباشرة، فسمعت صوت تهشم فكه المزعج ورأيت مجموعة من أسنانه تتساقط من بين شفتيه المشقوقتين.. يسعلها مع دماء. نظرت إلى قبضة إياد لقد تمزق جلده ونزفت دماؤه وشعرت بألم رهيب في يدي من عنف الضربة، لا بد من توخي الحذر كي لا أدمر جسد إياد، وكبي

خرجت فرأيت القبار الذي أثارته سيارة أبو عطية، ارتفعت في السماء لأحدد وجهته، ولأبحث عن إياد، ميزت سيارة إياد تقترب عن بعد فانطلقت إليه بسرعة، تجسدت، حاولت فتح الباب فلم يفتح، ضربت الزجاج بيدي بقوة ففهم إياد وفتح قفل الباب ففتحته والسيارة منطلقة بسرعه والسيارات تطلق أبواقها فلنا أن الباب فتح بسبب عطل!

"إياد.. جاهز؟"

"يعني في خلال أربعة وعشرين ساعة ما نمت ولا أكلت وأتلبسني جنبي مرتين وبلغت أربعة ترامادول وإثنين تيغراتول وثلاثة ريديول! أعتقد إنني جاهز جداً! توكلنا على الله!"

أغمض عيني دون أن يترك المقود كمن تعود على ذلك، فتلبسته في لحظة.. انطلقت بسرعة للحاق بسيارة أبو عطية، لم أعترف بسرعة قانونية ولا بإشارة مرور ولا باتجاه سير، هدأت من سرعتي عندما رأيت سيارة أبو عطية في الأفق كي أتبعه دون أن أثير شكوكه، ولكن شكوكه اشتعلت عندما لاحظ أنني أتبعه لمسافة طويلة، بالذات عندما بدأنا ندخل لارقة ودهاليز في وسط حي مشبوه.. انعطف أبو عطية في أحد تلك الأرقة فجأة

فصرخت صرخة خرجت من أعماق روحي وغابت عن الوعي للحظات، لم أدرك نفسي إلا وحولي جثث الحردة والنيران مشتعلة وإياد يسعل بشدة، وموسى تاكاو يشق طريقه عبر النيران بعد أن جمع أهم ممتلكاته.. فصرخت بإياد:

"إياد.. ركز.. لازم أتلبسك وللا حتتخفق هنا!"

إياد الذي لم يعد قادراً على الكلام أوماً برأسه فتلبسته وفي لحظة قفز الجسد الذي لم يكن يقوى على الحراك، شعرت بالآلام في كل جزء من جسدي بسبب إصابات إياد، وكدت أن أختنق وأنا أقفز عبر النيران والدخان لأمسك بموسى تاكاو من تلايبه ونسقط أنا وهو على الدرج، كان يتمم وأنا ألكمه دون أن يدري أن مريدته تحولوا إلى أشلاء!.. اختفت مجموعة من أسنانه دون أن أراها تسقط، أعتقد أنه ابتلعها.. غاب عن الوعي بين لكماتي، سحبته من تلايبه بيد واحدة رغم حجمه العملاق، وحشرته مع أغراضه بصعوبة شديدة جوارى في سيارة إياد، وتوجهت لأقرب جامع.. ربطته بشدة على عمود النور الذي بجوار الجامع ونثرت فوق رأسه الطلاسم والأحجية التي تدبته، وأخذت المظروف الذي سلمه إياد أبو عطية، نظرت

لا أتسبب بمقتل أحد فيتورط في قضية جنائية. الكلمة بثت الرعب في العملاق الآخر فتقهقر بحذر، تناول من الأرض قضيباً معدنياً وبدأ يلوح به وهجم علي بشراسة، لا أعرف ما هي حدود قدرات أجسادكم.. ولكنني أعرف أنني استطعت أن أقفز بارتفاع مترين لأتفادى الضربة وأهبط لألتف وأركل العملاق على وجهه ركلة لم تجعله أحسن حظاً من رفيقه الذي تشوه! انطلقت إلى المبنى الذي يتكون من طابقين أحطم أبواب الغرف أمامي بقدمي وأبحث عن موسى تاكاو، رأيته أمامي جالس يتمم، وحوله مجموعة من المردة المسخرين له، هجم علي المردة، فتركت جسم إياد الذي سقط كالحجر.. وعدت لعالمي لأتعامل مع المردة الذي صرخ أحدهم:

"تعديت حدودك يا كلب الإنس!"

انقضوا علي، لا أذكر عددهم، كانوا خمسة أو ستة مردة.. ثبتني زعيمهم من رقبتي وتكالب الباقون علي، أما المشعوذ فانقض على إياد ليخنقه وإياد شبه فاقد للوعي يحاول التقاط أنفاسه باستماته. في هذه اللحظة بالذات تذكرت سؤال الملك هياك عن سر الصرخة في هذه اللحظة بالذات تذكرت روح أبي وجدي ودموع أمي وغذاب سوسن ودماء جماري..

"تعالى معايا انا برا.. ما أقدر أدخل وأنا مثلبس
إياد.."

انطلقنا أنا وجمارى بسيارة إياد نحو بيته، دخلت البيت بثقة
ممثلاً دوره، فتحت الخادمة لي الباب وصعقت عندما رأت
جسم إياد الملطخ بالدماء:

"Mister Eyad.. I what happened? I will call the
doctor!"

"لا أنا كويس.. بس جهزي لي العشا.."

استغربت من كلامي معها بالعربي، دخلت غرفة إياد ألقيت
بجسده على سريره، وتركته، لأجلس جوار جمارى، فسعل
وتأوه بشدة..

"iiii يا راسي.. يا إيدي.. يا رجولي.. اش سويت
قيا يا خوجن؟"

دخلت الخادمة حاملة صينية الأكل ووضعتها على طاولة المكتب
فناداها:

"Just bring it over here.. I can't even move!"

إلى الناس الذين تجمعوا حولي يراقبون المشهد باستغراب
فقلت:

"ساحر مشعوذ ربنا أعانني عليه.. يا ليت أهل الخير
يسلموه للشرطة!"

كانت عبارتي بمثابة إشارة بدء لهم بضربه وركله!

انطلقت في سيارة إياد عائداً لبيت سوسن، لا أستطيع أن
أغادر جسد إياد وهو بهذه الحالة الحرجة، وفي نفس الوقت
يجب أن أطمئن على جمارى، تناولت هاتف إياد واتصلت على
Dr. E Z.. استغرقت جمارى بعض الوقت لاكتشاف الزر الذي
يرد، ردت علي بلهفة ولكن بالعربي تحسباً لأن أكون إياد أو
شخص آخر:

"جمارى؟"

استغربت الصوت المتغير ولكنها استوعبت أنه أنا في جسد
إياد..

"حبيبي.. قلقت عليك!"

خرجت الخادمة فصرخ إِيَاد..

"حالا اوجججا ان انت هنا! انطلقا!"

"إيوة طبعاً هنا.. ومعايه جماري.."

"أهلين جماري.. شايفه زوجك إيش عمل فيا؟"

ابتسمت جماري وتحسست جرحها وهي تجيبه:

"كلنا في الهوا سوا.. أنا كمان اتبهذلت اليوم.."

"كله يهون.. تجي في جسمي ولا في السيارة!"

"مممم.. يعني السيارة كمان تعرضت لشوية
إصابات!"

"من جد؟ لا لا لا لا لا!! إلا اللامبرشينيبي!!"

"إيَاد.. من جد شكراً على شهامتك.. مستحيل أحد
يسوي كل هذا عشان شخص ما تربطه بيه أي
علاقة"

رد علي برد أشعل غيرتي وأسعد جماري:

"طبعاً أسوي كل هذا وأكثر عشان عيون سوسن.."

زوجة المستقبل!"

(17)

سوسن.. اتقبلين الزواج باياد؟

العقرب لا يلدغك إلا إذا اقتربت منه، وشعر بالخطر، وهذا لا ينطبق تماماً على العقرب البشري، الذي يقترب منك ويلدغك إذا شعر بالأمان.. فقط ليحقق مصالحه ولو على حساب مصالحك.. وحياتك! وأبو عطية أحد العقارب البشرية المنتشرة حولكم، يغلف سمه في معسول كلامه قبل أن يفرغه في لدغته ويفر باحثاً عن ضحية أخرى..

حك إيراد لنوم عميق، فكرنا أنا وجماري في الوسيلة الأنسب لإعادة أموال الدكتور عبدالرحيم له، فتحت المظروف فوجدت فيه سبعمائة وخمسون ألف ريال، نصف المبلغ الذي كان يفترض أن يسلمه الدكتور عبدالرحيم، فخصت جماري الظرف وبحكم خبرتها أدركت أن هناك أثر ثلاثة أشخاص عليه، أو بتفسير علمي أكثر: ثلاث بصمات جينية مختلفة خلفها عرقهم، الدكتور عبدالرحيم، والمشعوذ، والحقير أبو عطية، أما بالنسبة للنقود داخل الظرف فكانت تحمل أثرين فقط! أثر الدكتور وأبو عطية، مما يعني أنه كان يخدع الدكتور طوال الوقت وأخذ نصف الأموال لنفسه. في كل الأحوال لا أعرف كيف سأعيد النقود للدكتور بشكل مقنع، يمكنني ببساطة أن أضع النقود فوق سريره، ولكن ذلك سيؤكد ما يدعيه أبو عطية من أن البيت مسكون وقد يوقعه في براثن دجال آخر! هل أرسلها مع إيراد؟

خرج الجميع من غرفتها، سحبتُ جماري من كتفها وخرجنا من النافذة وأنا أراقب سوسن تقترب من النافذة بخطوات مترنحة وتغلقها بعنف بدل أن تغني لأزهارها التي ذبلت حزناً عليها!..

"حوجن.. لازم نلاقي حل لمرض سوسن!"

بادرتني جماري ولكن حزني عقد لساني فلم أجيبها..

"حوجن اش رأيك نفاوض الملك هياف يجيب مرءة المغرب يمكن يفيدوها.."

"ربنا أرحم بها منا وهو القادر على شفائها.. مو الملك هياف!"

اتصل بي إياد، أعتقد أنه بدأ يتماثل للشفاء من إصاباته، ذهبنا أنا وجماري التي رفضت أن تتركني لحظة بعد كل ما حصل.

ترك إياد باب البيت مفتوحاً كالعادة فوجدته يتحدث عبر الهاتف باهتمام:

لا لا.. لا أريد أن يعرف الدكتور أن إياد تربطه بموضوع الجن أي علاقة!

تركنا إياد، وعينا لبيتنا أنا وجماري، لفت نظري ضوء غرفة الجلوس المضاء، خشيت أن يكون أبو عطية عاد للدكتور..

اقتربت فسمعت صوت الدكتور، كان يصلي ويستغفر الله ويدعو لابنته بكل حرقة، فعلاً لقد أنقذه الله من مصيبة الشوك، الحمد لله أن جماري كانت موجودة وتمكنت من إيقاظها..

لم أكن أتكلم كثيراً عن سوسن، احتراماً لمشاعر جماري.. ولكنني اليوم فشلت في حبس دموعي عليها عندما رأيتها تدخل بيتها لأول مرة بعد غيبوبتها، حتى جماري فشلت في حبس الدموع! كانت تمشي بصعوبة، تنهأ بين أمها وأبيها، بالكاد تسند نفسها، دخلت غرفتها التي نظفوها استعداداً لاستقبالها، وأول شيء وقع نظرها عليه هو الأبياد.. أشاحت بوجهها وهي تشير إلى الأبياد وتقول لهتان:

"شيل الأبياد معاك بالله.. وسيبوني شويه، تعبانة أبغي أرتاح.."

"ياسلام الموضوع بهذي البساطة؟ كيف حنسوي هذا
كل؟"

"بسيطة جداً.. تتلبسه!"

كانت خطة إياد عبقرية فعلاً، العنوان لم يحدد بيت أبو عطية
بالضبط، ولكننا وصلنا للشارع والمسجد المجاور لبيته في تلك
الليلة، أطلقاً إياد سيارته وهو يقول:

"المقروض بيته هنا! يللا يا حوجن شوف شغلك.."

بحثت عن سيارته، لم تكن بين السيارات الواقفة على جانبي
الطريق، بحثت داخل مواقف العمائر، إلى أن وجدت، وجدت
سيارة أبو عطية وميزتها بسهولة من آثار احتكاكها بسيارة
إياد وعرفت أيضاً رقم شقته من موقفه، عدت إلى سيارة إياد:

"هذيك العمارة.. اللي قدامها نخلتين.."

اقترب قليلاً من العمارة، نزلنا أنا وجماري.. لحسن الحظ
كانت نافذة المطبخ مفتوحة فدخلنا منها، رأيته في صالة بيته
يجلس على الكتبة يشاهد أحد البرامج الهابطة ويدخن

"خلاص العنوان واضح، ألف ألف شكر، ياسيدي لو
ما طلع كلامي صحيح أسجني.. أنا مستعد!.. تسلم
تسلم حبيبي.."

أنهى المكالمة وتناول الورقة التي دون عليها ذلك العنوان..

"إياد مين دا؟"

لم تفزع عيادتي، فهو يتوقع حضوري..

"تعال أفهمك إيش رح أسوي في الزفت أبو عطية!"

إياد من القلة الذين لا يعترفون بالمستحيل، لقد نبش جميع
معارفه إلى أن وصل لضابط في المباحث، وبلغه عن أبو عطية
وطلب مساعدة الضابط بتدبير عنوان أبو عطية من خلال رقم
هاتفه بعد أن وعده بتسليم الدليل الذي يدينه..

"شوف يا حوجن، لازم نتأكد إنه الدكتور عبدالرحيم
بعيد عن الصورة تماماً، كل اللي نحتاجه هو زيارة
لطيفة لأبو عطية، نأخذ بقية القلوس ونأخذ دليل يدينه
ونؤديه في ستين داهية!"

"إش الأصوات هذي؟ كنت بتزعق على أحد في التليفون؟"

أجبتها محاولاً تقليد طريقة أبو عطية في الكلام، واستمررت في البحث:

"ارجعي نامي مافيش حاجة.."

"بتدور على إش؟"

لا أعلم إن كان أخبرها بأمر النقود، إنها فرصتي الوحيدة، ومرة أخرى طز فيه!

"فيه فلوس جبتها الأ سبوع اللي فات نسيت فين حطيتها!"

"من جد إنت من يوم ما رجعت بالفلوس دي وعقلك مو في راسك! دحين إنت مو قایل لي إنك دفعتها لصاحب الأرض عشان الإفراغ؟"

"خلاص خلاص أدخلني نامي دحين.. فيه ضيف رح يجيني!"

الشيخة، تجسدت جماري وتشكلت بالشكل المطلوب ووقفت خلفه تماماً، وهمست في أذنه بهدوء:

"تبغى تدبحني يا أبو عطية؟ مو حرام عليك؟"

التفت برعب ليري الوجه الذي خلع قلبه من مكانه.. وجه سوسن! كانت جماري تنظر إلى عيني أبو عطية مباشرة وهي متشكلة بشكل سوسن فجن جنون أبو عطية وبدأ يصرخ بشكل هستيري، وضعت يدها على فمه بقوة كي تكتم صرخاته، يجب أن أتحرك الآن، هذه اللحظة المناسبة لتلبسه! ابتعدت طاقته النفسية بسبب رعبه يجب أن أحل محلها قبل أن يفقد الوعي من شدة الهلع! حاولت السيطرة على جسده، فبدأ ينتفض بشدة، لا بد أن أسيطر عليه بأي ثمن! ركزت جميع قواي فهدأت ارتعاشته وارتخى تصلبه، وقفت مستنداً على حافة الكنبة، علبت الشيخة التي سقطت مع ارتعاشته وللمت الجمر المتناثر بيديه غير أنه بالأكلم، طز فيه! تركت جماري تجسدها وعادت لعالمنا وبدأنا أنا وهي تبحث عن نقود الدكتور عبدالرحيم، ولكن ما لبث أن فتح باب غرفة النوم وأطلت زوجة أبو عطية تفرك عينيها بكسل وتسال باستنكار:

قطع إياد التصوير متعمداً وكأن الذي كان يصور خلصة ارتبك، عدت إلى الكنب التي كان يجلس عليها أبو عطية واسترخيت لأعادر جسده، كان في غيبوبة، انطلقنا إلى الباب بسرعة ولكن إياد المجنون عاد ليصفع أبو عطية بقوة على وجهه ويركله في بطنه وخرج معي مسرعاً!

"ما قدرت أقاوم.. نفسي أقتله هذا النتن!"

انطلقنا بسرعة، ونفذ إياد وعده لخايط المباحث، فزوده بدليل دامغ لإدانة أبو عطية، ورفع ملف الفيديو الذي يعتبر اعتراف مصور على موقع اليوتيوب من حساب مؤقت، ووضع عنواناً جذاباً: فضيحة أبو عطية وهو يتفاوض مع المشعوذ.. واختار بعض الكلمات التي تلهثون خلفها في محركات البحث (اعتذر عن ذكرها).. ليقطع في وجهه كل أمل للفرار! الذي لم أفهمه هو كيف سلم المظروف للضابط وفيه كامل المبلغ! مليون ريال ونصف! وطلب من الضابط أن يسلمه للدكتور عبدالرحيم بحجة أنه ضابط عند المشعوذ الذي اعترف، واحترم الضابط رغبته في عدم إقحام الدكتور في أي تحقيقات. كم أنت عظيم يا إياد، تستحق سوسن فعلاً!

لحسن الحظ لم تشك في شيء والدليل غلقها لباب غرفة النوم بعنف، فتحت الباب لجماري فخرجت لتنادي إياد الذي جاء على الفور، طرق الباب ففتحت، فتفاجأ لوهلة عندما رأيته على هيئة أبو عطية فهمست له:

"هذا أنا.. خوجن! تعال بسرعة!"

"لقيت الفلوس؟"

"مو وقت الفلوس بحين يللا أبدأ تصوير.."

وضع هاتفه بزاوية تركز على المقعد الذي جلست أنا عليه لنصور المشهد الذي يُدين أبو عطية، وضعه بطريقة توحى إلى أن أبو عطية لا يدري عن التصوير، وبدأت أتحدث إلى الشخص الوهمي أمامي منتحلاً شخصية أبو عطية:

"أبو عطية كلمته ما تنزل الأرض أبداً! النص بالنص! كل واحد فينا ياخذ سبعية وخمسين ألف، ولو جاب باقي الفلوس نتقاسمها! بكرة نجيب التيس وتجهز إنت الحجاب، نخليه يذبح التيس ويدفن الحجاب في الحوش ونرش دمه عند المدخل و..."

"يعني إذا تفدري تتشكلي فأكيد سهل عليك تقلدي الأصوات.."

إياد يجمع بين خصلتين خطيرتين.. الدهاء والتهور! يريد جماري أن تتصل لتخطب له سوسن! كم سعدت جماري بهذه اللحظة كي ينزاح عنها هم حبي لسوسن! أو على الأقل تقحم فارساً حقيقياً في حياتها يستحقها أكثر مني، فارس يرغبني على التنحي جانباً ليفوز بها.. ويرغمها على نسياني..! انبهري إياد عندما سمع صوت جماري وهي تقلد صوت والدته..

"وااااو كلاك أُمي بالضبط!! نفسي أسوي شوية مقالبي في بابا، بس بعدين مو وقته.. خلينا نتصل بسوسن دحين!"

"بس ماني عارفة إش أقول؟"

"بسيطة! نشبك الهيدفون ونخلي سماعة في أذني وسماعة في أذنك وأنا أحمس لك في إش نقولي بالضبط.."

غاب إياد وعاد بهاتف قديم..

ارتاحت نفسياتنا عندما انتهى كابوس المشعوذ وأبوعطية للأبد وعادت نقود الدكتور ليخرج من أزمتة المادية ويتوب عن الاستعانة بالسحرة والدجالين المتمشيين. مرت بضعة أيام طلبنا بعدها إياد لمساعدته في موضوع شخصي، فذهبنا له على الفور.. بادرنا بلهفة:

"حوجن؟ جماري إنتو هنا؟"

"خير؟ قلقنا عليك!"

"أنا قدامكم زي الحصان.. بس أحتاج جماري في شغلة مصيرية!"

"إش أقدر أسوي لك يا إياد؟"

"أبغاك تخطبي لي سوسن!"

"ها؟"

"تعالني أول أفرجك على مقاطع فيديو لأمي.."

"ليش؟"

"ألو؟"

"ألو كيف حالك يا أم سوسن؟"

"الحمد لله يا أهلاً وسهلاً.."

"سلامة سوسن وما تشوف شر إن شاء الله.."

"الله يسلمك ويحفظك أولادك.."

"ما باطول عليك، بس الحقيقة سمعنا عنكم كل خير،

وحابين نتقدم لكم نخطب سوسن لولدي إياد، هو

زميلها في الجامعة والحقيقة يمدح فيها كثير.."

ارتبكت والد سوسن، هذه لحظة حساسة في حياة أي أم..

هذا الاتصال بالذات يفصل بين كون ابنتها طفلة بين

أحضانها وسيدة مستقلة بحياتها..

"والله ما أدري إيش أقول لك.. إحنا نتشرف والله بس

إنّ عارفه ظروف سوسن و.."

قاطعتها جماري.. أو بالأحرى إياد:

"هذا جوال أمي حق الزوجات، فيه شريحة.. نتصل

منها ونفصله بعدها!"

اتصل إياد برقم جوال سوسن، خفقت قلوبنا، لا أعلم أيها كان

أعترف.. قلبي أم قلب إياد أم قلب جماري.. لم ترد سوسن،

كررنا المحاولة، وقيل يأسنا بلحظة ردت سوسن مستغربة من

الرقم:

"ألو مين؟"

فردت جماري وإياد يهمس لها..

"ألو.. السلام عليكم.. أنا منال العقيل والدّة إياد

الزايدي.. معاه سوسن؟"

"أهلين يا خالة.. كيف حالك؟"

"أهلين يا بنتي.. وألف ألف سلامه عليك.. معلش أنا

كنت أبغى أكلم الوالدة وما قدرت أحصل رقمها،

ممکن أكلّمها؟"

"أكيد يا خالة.."

ذهبت لتنادي والدتها فازدنا خفقاناً..

انتهت المكالمة، فانطلقت أنفاسنا الحبيسة، تناثرت الأيام بسرعة
ووجدنا أنفسنا أمام الأريعاء فجأة، ذهبنا لإياد قبل الموعد
بساعة، وجدناه لابساً ثوباً وغترة بيضاء وعقال وجالس بهز
ركبته بتوتر، لأول مرة أراه بالهندام الرسمي الذي زاده هيبة
ووسامة..

"إياد.."

"أخيراً شرفتموا؟ اتأخرتوا!!!"

"بنت خالك وصلت؟"

"مستنيها تتجسد!"

"اش قصدك؟"

"جماري حنكون بنت خالي! ما عندي أخوال أصلاً"

كل يوم يناقش هذا الولد نفسه بجنونه!!

"يللا يا جماري، زبطي لنا شكل بنت خالي على
ذوقك، عندك غرفة ملابس أمي فوق أليسي أي حاجة
مناسبة.."

"إن شاء الله سوسن ما قدامها إلا العاقبة وإحنا بس
حايين نتعرف عليكم أكثر ونتضمن على سوسن.."

"طيب لازم أستشير أبوها واستشيرها هي كمان،
بس على العموم الله يحكم تزورونا في أي وقت
عشان نتعرف ونتشرف ببيكم.."

لم يحسب إياد حساب هذه المفاجأة، ولكنه تصرف بسرعة
وهمس لجماري بالإجابة الأنسب:

"أكيد نفسنا نزوركم والله، بس أنا الآن بالكلمك من
فرنسا، أنا وأبو إياد حنرجع بعد شهرين، معليه أخلي
إياد يزورك مع بنت خاله؟ وأنا وأبو إياد أكيد
بنزوركم نتضمن على سوسن أول ما نرجع.."

"الله يحبيكم كلكم.."

"يقدرُوا يجوكم يوم الربوع بعد المغرب؟"

"يشرفونا على العين والراس.."

"بس يا جمارى أم أمي فرنسية عيونها عسلي فاتح..
حتى أفتح من عيني.."

لم يكمل إياد عبارته حتى تحول لون عيني جمارى بالتدريج من البني الداكن إلى العسلي الفاتح، فازدادت جمالاً، كانت تضع القليل من مساحيق التجميل، لم تكن بحاجة إليها في كل الأحوال.. وضعتها باحتراف هذه المرة، ولبست ثوباً غاية في الروعة وارتدت عليه إحدى عباءات أم إياد الأنيقة، واتجهنا بسرعة إلى الخارج، فتح إياد باب القراج، عرفت من أين دبر إياد باقي نقود الدكتور عبد الرحيم! ظهرت سيارة منمنمة أشبه باللعبة، انخسرتنا داخلها، إياد وجمارى في الأمام.. وأنا في الخلف..

"يعني بيعت اللامبرغيني عشان تسدد باقي فلوس
الدكتور عبد الرحيم؟"

"لولا غشامتك في السواعة كان قدرت أبيعها بمبلغ
محترم وأشتري بالفرق بي إم محترمة بدل الدبانه
دي! أنا أصلاً كنت مطلع اللامبرغيني عشان هذي
اللحظة!"

صعدت جمارى وعادت بعد دقائق، تخشبنا أنا وإياد ونحن نتأمل ذلك المخلوق الذي هبط على الدرج، جنينة تشبه الملائكة تجسدت في عالم البشر!.. لا تكاد قدماها تلمسان الأرض، فاتنة.. حتى شاشات السينما لم يحالفها الحظ لعرض مخلوقة بجمالها، النسخة البشرية من جمال جمارى، ياقوتة زهرية، عيون تُغرق الناظرين في أعماقها، شعرٌ تنازع عليه الذهب والدياج فتتموج بينهما، سقط فك إياد وهو يقول بتلقائية بلهاء:

"جمارى.. إنت ما عندك أخوات؟!"

تجسدت للحظة لا شعورياً ولكمته في صدره ليتأدب فصرخ
صرخة مكتومة:

"إش فيك يا حوجن؟ نسيت إنه جمارى أكبر من
جدتي، وقبيل يومين كانت أمي.. وبعين بيث
خالي؟؟!!"

ابتسمت جمارى وقالت في دلال:

"هذا الشكل اللي كنت أتشكل به زمان.."

دارت إشارة خاطفة بين سوسن وأمه، فقامت السيدة رجاء
وسحبت يد جمارى وهي تقول:

"تعال يا جمانه حكيني عن فرنسا.. خلي سوسن
وإياد يأخذوا راحتهم شوية.."

جلستا في الحجة الأخرى من الصالون فأصبحنا لوجدنا أنا
وسوسن، وإياد..

"ليش يا إياد؟"

"ليش ايش يا سوسن؟"

"ليش بتتقدم لي؟"

"سوسن إنت عارفه إنني من زمان معجب بليك.."

"الإعجاب شي والارتباط شي ثاني، أنا عندي برين
كانسر يا إياد! الله العالم يمكن أعيش لآخر الشهر
ويمكن لا!"

مد إياد يده إليها محاولاً الضغط على عواطفها، مدت يدها
إلي شعورها وصررت أناملها عليه فانسكت خصلة من شعرها لم
تحتمل عنف أدوية السرطان.. ووضعتها على يد إياد..

وصلنا لبيت سوسن، لم ننتظر طويلاً بعد دق الجرس، فتح لنا
هتان الذي أصيب بالصعقة الكهربائية وتخرج عندما رأى
جماري، أدخلنا على الفور إلى الصالون، تخيل تدخل بيتك
الذي تعيش فيه على أساس أنك ضيف؟! نزلت أم سوسن
ترحب بنا بحفاوة، ونزلت بعدها سوسن، جلست في المساحة
الخالية على الكنبه جوار سوسن.. وظللت أناملها..

أدارت جمارى الحديث ببراعة وأذابت ثلوج الإحراج بلطف:

"معليه سامحونا، المفروض نزوركم وتتضمن على
سوسن من زمان.. أنا جما.. جمانه.. بنت خال إياد،
بأدرس الجامعة في فرنسا، ماما فرنسية، وبابا نص
فرنسي.. لحسن الحظ إننا جينا جده نزور أعمام بابا
ونأخذ عصره، وعمه كلمتني عشان أجي مع إياد نزور
سوسن ويتعرف عليكم.."

لم أتابع عبارات الترحيب والمجاملة والسؤال عن صحة
سوسن التي دارت، كنت مشغولاً بملى عيني من عينيها،

"إياد أنا صحتي بتروح مني زي شعري.. إنت
تستاهل ملاك تعيشك في سعادة.. مو مسخ بين
الحياة والموت!"

قبض إياد على شعرات سوسن وتساقطت دموعه في انهيار
وهو يقول:

"سوسن.. أرجوك أديني فرصة أكون جنبك باقي
أيامك.. وصدقيني أنا متأكد ربنا بيشفيك وتصيري
ملاكي وتسعديني باقي أيامي!"

خففت سوسن وجهها وانهمرت دموعها بحرقة، ففاجأها
إياد.. وفاجأني أنا أيضاً:

"سوسن.. فيه واحد يبغى يكلحك.. ويفهمك أشياء
كثير.."

"مين؟"

"تعال يا حوجن!"

قالها.. وسند رأسه مسترخياً على الكنبه لكي أنلبسه!

(18)

خسرت حبيبتي.. وزوجتي.. وابني!

أتعلمون ما هي أكبر جريمة تقتربونها في أنفسكم؟ هي تهيش أرواحكم.. الحياة بالنسبة لكم ساحة عراك وأنتم مكان الصراع في وسطها، مكان مركبة من "الجهة" و"العضاء" تسيرها مصالح مادية مغلقة بأيديولوجيات سلطوية مخادعة تتشدد بالسمو رغم سفالتها.. ولكن مع ذلك كله هناك من يقدر لروحه قدرها، يرى بشفافيتها ما يقبع خلف تلك المكان البشرية، يرى بعين الحدس أو المشاعر أو البصيرة أو الفراسة أو التليباثي.. أو أي من تلك المصطلحات التي تصنفونها جهلاً تحت بند الخوارق والميتافيزيقا وما وراء العقل.. العقل الذي استطاع أن يحبسكم جميعاً داخل مكانتكم.

سوسن كانت من تلك القلة التي لم تدفن روحها في قبر عقلها، لم أكد أتلبس إياد وأرفع رأسي عن الكنبه وأنظر إلى عينيها مباشرة، وتنظر هي إلى عيني لأول مرة حتى رأيتني من خلال جسد إياد وعرفتني.. شبع شهوة خفيفة، واحتضنت كفي بين كفيها وتسربت دمعها وهي تقول:

"حوجن..! وحشتني يا حوجن! وحشتني!"

"منب خايقة مني؟"

خوجن

قلتها والتفت إلى أثار الجروح في ذراع إياد، تحسست
بأناملها أثر الإصابة على جبين إياد الذي لم تعترف بوجوده،
وكانني حطت محله..

"خوجن ليه سويت في نفسك كذا؟"

"سوسن.. إياد يستاهلك.. من جد يستاهلك.."

"بس أنا ما أستاهله! إياد حلم لأي بنت.. ويستاهل
ملاك زي بنت خاله.."

قالتها والتفتت إلى الجهة الأخرى من الصالون ناحية والدتها
وجماری.. كانتا تجلسان في زاوية بالكاد تستطيع جماری
رؤيتنا منها.. ولكن جماری لاحظت تلبسي لإياد واحتضاني
لكف سوسن ونظرات اللهفة بين عيني.. تحاول بصعوبة
السيطرة على أعصابها وتجسدها في عالمكم..

"هذي مو بنت خال إياد.. هذي جماری.. زوجتي!"

ابتسمت ابتسامة لم أفهم معناها.. أطرفت برأسها لتخفي
دموعها التي ليس من حقني أن أراها، واستعادت جديتها وهي
تقول:

تجاهلت سؤالني السخيف وقبلت أنأملي وهي تقول:

"كنت حاموت من الخوف عليك يا خوجن! ليه رحت
وسبتني؟ خفت يكون جرى لك شي!"

شعرت بحرارة الدنيا تسري في جسدي من شفاهها عبر
أنأملي فتفجرت دموعي..

"سامحيني يا سوسن.. غصب عني.."

"لا تقول سامحيني.. أنا عارفه إنت اتعذبت معايا
كثير.."

"سوسن.. زعنام أذاك بشي؟"

"اسمه زعنام؟"

"زعنام وغيره.. شياطين ومشعوذين حاولوا يوقعوا
بالدكتور عبد الرحيم.. بس لا تخافي.."

"أكيد خلصتنا منهم يا بطلي.."

"إياد بطلك الحقيقي.. ضحى بحياته أكثر من مرة
عشانك.."

"سوسن.. أنا لازم أختقي من حياتك!"

"خوجن!"

"سوسن.. ظهوري في حياتك سبب لك مشاكل إنت

في غنى عنها.. صدقيني لازم تنسيني!"

ترجعتني بنظراتها.. ولكنني لن أسمح لنفسني أن أتسبب في

أي ضرر لسوسن بعد الآن..

"خوجن أرجوك عشان خاطري.. إنت تقدر تشوفتني

أي وقت وتظمن علي.. لكن أنا كيف أتظمن عليك؟!"

"سوسن أرجوك عشان خاطري اتعافي.. وصدقيني

حاكون دايماً حوليكي.."

"مع السلامة يا خوجن!"

قالتها بلسانها فمزقت قلبها.. وقلبي! رفضت أن تغلق يدي..

فسحبتهما يهدوء ووقفت.. وتركتها تغرق في دموعها..

"جمانه يلا نمشي .. اتأخرنا!"

"اسمع يا خوجن.. أنا حالتي شبه ميؤوس منها..

مستحيل تتعالج إلا بالجراحة، وحتى لو عشت إلين

وقت العملية، أصلاً نسبة نجاحها ضئيلة.. ولو نجحت

احتمال كبير أفقد الكثير من ذاكرتي وقدراتي العقلية

ويمكن الحركة.."

"سوسن.. مع رينا ما فيش حاجة اسمها شبه

ميؤوس ولا نسبة نجاح.. فيه حاجة اسمها إيمان

وحسن ظن وكن فيكون.. صدقيني علاجك مرهون

ببيعتك بالله سبحانه ومعنوياتك!"

أطلقت عباراتي روحها من سجن اليأس، وتحولت إلى يقين

داخل قلبها، فابتسمت وهي تقول:

"ونعم بالله.. بس في كل الأحوال مستحيل أفكر في

الزواج الآن.. ما حاتزوج إلا لو اتعافيت!"

"حتتعاقي بإذن الله.."

"وخنرجع نعمل نشات في الأبياد وللا حتتجسد في

عالمنا وتعيش معانا؟"

"لا بس.. حببت أقول لك إني لقيت بنت الحلال
وخطبتها!"

"Eyad! STOP IT!"

"I swear.. I proposed!"

"ومين خطب لك؟"

"إنت!"

"إيااااااااااا!"

"وجمانة بنت خالي جات زارتهم معايا عثمان تتعرف
عليهم"

"جمانه مين؟ خالك مين؟"

EYAD YOU ARE DRIVING ME

"INUTTS! STOP YOUR SILLY JOKES

أدار إياد الجهاز جهة جماري التي ألقى التحية لأم إياد
باستخدام صوتها..

تركت جسد إياد في السيارة.. لم ننطق بكلمة ونحن عائدون
معه، كل منا كان يصارع أمواج همومه، وفجأة هب إياد:

"لازم أتصل بماما الآن.. أخاف أهل سويسن يبدأوا
يسألوا عني ويوصلوا لجوال بابا أو ماما
ويتصلو بهم!"

قالها وثبت هاتفه على قاعدته في السيارة وأجرى اتصالاً
مرئياً وكسى صوته بنبذة مرحة مصطنعة عندما ظهرت صورة
والدته التي كانت تستمتع بوقتها في شرفة شقتها على شاطئ
مدينة كان في فرنسا:

"هيببي منال.. كيفك؟! Miss u miss u miss u!"

"Darling I miss you like crazy! How come
you missed me and didn't even call me for 2
weeks?"

"I've been through a lot Mom.. and.. I have
little news for you!"

"الله يستر!"

"كيف حالك يا عمه؟"

صعقت أم إياد وجن جنونها فبادرها إياد:

"ماما بليز أنا لقيت البنت اللي أتمناها وكان لازم
أقدم لها!"

"إياد! كان لازم تستنائي لما أرجع! البنت ما حططير!"

"صدقيني يا ماما البنت ممكن تطير فهي أي لحظة!
ماما أرجوك لو اتصلت عليك السيدة رجاء بخصوص
بناتها سوسن لا تطلعيني كذاب.. وعلى فكرة لا تسي
إنه بنت أخوك اسمها جمانة!"

"إياد.. برضايك عليك لا تسوي شي يزعلني منك!"

"ماما.. برضايك عليا ما حازلك!"

انتهت مكالمة إياد المرثية مع والدته، وعاد كل منا إلى صمته..
وهموه!

عدنا لبيتنا بعدت أن خلعت جماري تجسدها وملابس والدّة
إياد، شعرت بكاء سوسن يذيب ناغذتها المغلقة ويحرق قلبي،
وجماري تشعر بي فيحترق قلبها غيرة علي.. لم نكن نعلم أن
هناك ضيفاً في انتظارنا:

"أخيراً شرفتموا يا عرسان؟ كنت حاطفش وأمشي بس
قلت عيب ما يصير.."

قالها زعنام الذي أطل من غرفتنا وأطلت معه عجوز قصيرة
بدينة كثيبة هبت على جماري فلفت ذراعيها حول خصرها
وألصقت خدها على بطنها بقوة وتركيز.. فسألها زعنام:
"هاه بشري..؟"

التفتت العجوز إلى زعنام، يبدو أنها لا تتكلم، فقط اكتفت
بإيماءة من رأسها.. فتبادرني زعنام بحضن كاذب وهو يقول:

"مبرووووك مبروك يا ولد عمي.. رح تصير أب.. ورح
أصير أنا خال.. مبروووك يا جماري"

آخر شيء قد تحدثه جماري بعد كل ما رأتها هو تهكم أخيها،
تجاهلته وبخلت الغرفة.. نظر زعنام للعجوز وسألها:

أزحته عن طريقتي ولحقت بجماري.. فلحقتني عبارته المهذبة:

"حوجن! أصحك تسوي شئ تقدم عليه!!"

مرت الأيام بسرعة، نافذة سوسن لم تفتح أبداً، ولم تغادر البيت.. لم أرها على الإطلاق.. الحزن يلتهم البيت وساكنيه.. لم أتجرأ حتى على الاقتراب من نافذتها لا سمح بكاءها ودعاءها.. لا أعلم إن تبقى لديها أي معنويات.. معنويات؟ كل شئ يشير إلى اتجاه واحد: الوفاة.. ولكن الله سبحانه فوق كل شئ وكل اتجاه، رأيتها اليوم، أخيراً.. يستحيل أن تكون هذه هي سوسن! جثة تنفس.. هيكل عليه جلد رقيق بدون شعر.. حتى حواجبها ورموشها اختفت.. ولكنها كانت تبسم.. كانت تحمل هم والديها.. تجبر كسر قلوبهم بابتسامتها، متجاهلة الموت الذي يلوح لها بذراعيه..

اتصلت بإياد فورا، فسبقنا إلى المستشفى، رفضت إصرار جماري على مرافقتي، بالذات وقد أنهك جسدها وعواطفها بسبب حملها، انطلقت معهم، كان إياد في انتظارنا يرتدي ملابس طاقم التمريض ويتناقش مع الأطباء عن حالة سوسن وكأنه أحد أقاربها. عملية كهذه تستغرق الكثير من الإعدادات، ساعتين ونحن نتجول في أروقة المستشفى مع سوسن،

"كم باقي على موعد الولادة؟"

فأشارت بتصابيع يديها.. وياديني زعنام:

"باقي عشرة أسابيع يا حوجن.. إنت عارف العقد اللي بينك وبين الملك هياف.. الأمور هذي ما فيها لعب!"

"الملك هياف ما نفذ بنود العقد.. بس صرف جنني الربط ولكن عفاريتة قعدوا حايمين على الدكتور عبدالرحيم، الين ما قتلتهم!"

"أسمع! الملك هياف يقدر يذبحنا واحد واحد.. لكنه خايف من الفحيحين!.. لو صارت مشاكل معاهم رح يدخل نفسه في حرب ما هي قدها! عشان كذا كتبك العقد عشان محد يقدر يفتح فيه!"

"لو قرب من جماري أو من إبني رح أقتله!"

"لا تصدق نفسك! تراك مو قد الملك هياف! اعقل لا تضيع نفسك واللي حوليك.."

انهيار في الساعات الماضية، اقتربت من إياد وهمست في أذنه:

"إياد بسرعة اسأل الدكتور كيف كانت العملية!"

"حوجن جاتني ثلاث اتصالات من جماري.. ما انتهت للتليفون عشان كان عالصامت.."

جماري!!! ماذا حصل لها؟ تركت سوسن وطلعت على الفور إلى البيت، لم أجد جماري، فقط وجدت آثار معركة لا تعني سوى أن الملك هياف قد أخذ زوجتي.. وابني!

هياف اللعين كان يراقبني طوال الوقت، كان يتحنى الفرصة المناسبة لاختطاف جماري، وكان انشغالي مع سوسن لساعات كافياً ليخطف جماري، ويقرر بطنها ويتخلص منها ومن زعمام ليحصل على ابني.. لا ليرشحه ليكون ملك المستقبل.. بل ليضحي به ويشرب دماءه في حضور مندوب اللعين الذي سيوثق مراسم انتقال الحكم والملك من سلالة الفيحيين إلى سلالته هو!..

والأطباء منهمكون في الفحوصات والتحليل الاستعدادية، وسوسن في كل هذه الأثناء تبسم، وتتبادل النكات بمرح مع الأطباء، كانت الممرضة تحلق ما تبقى على رأسها من شعيرات وسوسن تنظر إليها تتساقط وتضحك، لمحت سوسن إياد ونحن في طريقنا إلى غرفة العمليات فسألته:

"جا معنا صبح!"

عرف إياد أنها تقصصني، فأومأ برأسه إيماءة ارتاحت لها سوسن.. دخلت معها غرفة العمليات، واسطاط إياد فشلت في إدخاله معنا، لا أستطيع وصف مشاعري في تلك اللحظات، جيش من الأطباء، حول جسد سوسن الذي استسلم للمخدر وارتخت ابتسامتها، قد تكون هذه آخر ابتسامة تبسمها، خبت حقول طاقتها وأغمضت عينيها، قد لا تفتحهما بعد الآن، ست ساعات مضت وأنا أراقب ما يجري داخل دماغ سوسن، أراقب الدماء التي تغزف والأبرة التي تصاعدت من جراء التهام أشعة الليزر لخلايا دماغها وأبتهل إلى الله بالدعاء.. انتهت العملية.. خرجنا.. رأيت إياد الملتصق بباب غرفة العمليات وخلفه أهل سوسن الذين عاشوا حالة

(19)

حوجن.. لن أتسكك!

أنا سوسن..

سوسن عبد الرحيم سعيد..

اسمحوا لي أن أحكي لكم قصتي..

قصتي التي بدأت منذ بضع سنوات.. عندما كنت لا أزال
طالبة عشرينية في كلية الطب..

اعزوني مقدماً إن بدت قصتي كضرب من الخيالات
الخرعبلانية التي لا تصلح حتى أن تكون رواية فانتازية، أعجز
أنا نفسي عن تصديقها!

قبل أن أبدأ أتصنى أن لا تعتبروني من الذين يهوون الخرافات
وأساطير الجن والعفاريت، بالعكس تماماً، أنا إنسانة عقلانية
وواقعية لأبعد الحدود، طبعاً لا أجحد وجود الجن، فقد ذكرهم
الله سبحانه في القرآن الكريم، ولكني مقتنعة أن الكثير من
"حكاوي" الجن هي وليدة الإثارة المصطنعة والحماس المبالغ
فيه لكل ما هو غريب عن عالمنا.. إلى أن بدأت أحداث
قصتي.. بالتحديد عندما انتقلنا إلى بيتنا الجديد.. كانت
منطقتنا نائية في أطراف المدينة، وفي مناطق كهذه يزدهر

غريبة تحصل في بيتنا من أصوات واضطراب في الكهراء
وغلق للأبواب، حتى أصبح الجميع يعتبرون بيتنا مسكوناً
بالجن والعفاريت، ما لم أتوقعه هو أن يقتنع والذي رحمة الله
عليه بهذه الفكرة، أصبح بيتنا ساحة لتجارب السحرة
والمشعوذين والدجالين بحجة طرد الشياطين، وكانت الظواهر
الغريبة تتفاقم ويتفاقم معها مرضي.. وتهيؤاتي.. وصلت
لدرجة إنني أرى العفاريت أمامي يحاولون خنقي ودفعي من
النافذة، أصبت بنوبات هستيريا وتشنج دخلت على إثرها في
غيبوبة كادت أن تؤدي بحياتي، مع استفحال السرطان وقشل
الكيموثيرابي كان لا بد من التدخل الجراحي الذي كانت نسبة
نجاحه لا تكاد تذكر..

وحصلت المعجزة! اعترف الأطباء أن غاية أملهم كانت أن أنجو
بحياتي من العملية مع بعض الإعاقات الذهنية والحركية
الدائمة، ولكنني كما ترون أمامكم.. أكتب هذه السطور
وأحكي لكم قصتي وأبنتي تلعب بجواري.. قدرة الله سبحانه
ولطفه فوق كل شيء.. فوق العلم وفوق سرطان الدماغ وفوق
نسب نجاح العمليات! باستثناء بعض الأدوية الوقائية التي
أتناولها وورشة خفيفة جداً في أناملي أعتبر نفسي طبيعية

الهنوس بالجن، ويتحول كل تيار هواء يداعب الستائر أو يغلق
الباب إلى رواية عن عفريت يحاول تطفيش أهل الدار..

كانت هذه قناعتني: الجن في حالهم وإحنا في حالنا! لا يمكن
التواصل معهم بأي طريقة، عكس صديقتي اللاتي نجحن في
إقناعي بتجربة لعبة الويجا.. لعبة فكرتها التحاور مع الجن..
في البداية اعتبرتها مجرد تسلية ووهم لا أكثر، إلى أن تعرفت
عليه..

تعرفت على حوجن..

قد تعتبرينني مجنونة أو متوهمة، ولكنني فعلاً تعرفت على
جني اسمه حوجن، عمره تسعين سنة! تعرفت على والدته وجدده
وزوجته، كنت مقتنعة أنني أتكلم معه بالساعات كل ليلة.. كنت
أستخدم الأيادي للتواصل معه، أنطق الكلام وأشعر بأصابعي
تتحرك وتكتب الإجابة على الأيادي.. الشيء الذي لم ألاحظه في
البداية هو أن ظهور حوجن كان في نفس الوقت الذي اكتشفت
فيه أنني مصابة بسرطان الدماغ أجاكم الله.

سبحان الله، جسم الإنسان مليء بالأسرار، بالذات الدماغ،
كانت أعراض حوجن تتفاقم مع أعراض المرض، بداية بظواهر

كنت بعد العملية كطفلة رضيعة لا أقوى على الكلام ولا الحركة ولا الاستيعاب.. قضيت عاماً كاملاً في برنامج تأهيلي مكثف، وكان إياد ينتظرني في المستشفى كل يوم بالساعات، حتى بعد انتهاء فترتي العلاجية تقدم لخطبتي مرة أخرى متجاهلاً جميع الخيارات التي اقترحها والداه، ومتجاهلاً رفضي المتكرر لفكرة الزواج، لا يمكن أن أقبل على نفسي زواج الشفقة، كان العلاج النفسي بالنسبة لي بأهمية الأدوية، مع إلحاح إياد قبلت أن أזור الدكتور عماد زكي، أحد أروع الأطباء النفسيين، كان الدكتور عماد لا يقبل سوى الحالات النادرة والمستعصية، وتبنى حالتي بحكم صداقته بوالد إياد، الدكتور عماد هو الشخص الوحيد الذي فهم حالتي وشخصها بكل دقة، واستطاع بخبرته ومهارته أن يفك ألغاز عقدي النفسية وأن يعيدني مرة أخرى لحياتي كما كنت قبل أن أكتشف أنني مصابة بالسرطان. استمرت جلسات العلاجية مع الدكتور عماد عاماً آخر، اكتشفت خلال تلك الجلسات أنني كنت أعاني من الكاتاتونك شيزوفرينيا، كنت أعيش عالماً افتراضياً نسجه عقلي، لن تصدقوني إلا لو مررتكم بنفس تجربتي، كنت متأكدة أنني على اتصال بعالم الجن، كانت الأحداث منسوجة بكل دقة، أتذكر نقاشي مع حوجن، وأسئلته وإجاباته على

جداً، والفضل في ذلك يعود بعد الله لأكثر إنسان أعشقه.. لأكثر إنسان وقف بجانبني في محنتي..

إياد..

زوجي!

تعرفت على إياد أيام الكلية، كان دائماً يحاول الاحتكاك بي، وكنت دائماً أتجاهله، بالرغم من أنه كان يصيب نصف بنات الكلية بحالات هستيريا وانهيار كلما مر أمامهم أو ابتسم لإحداهن أو حتى لمحوه يمتطي صهوة سيارته الرياضية الفارفة، كل ذلك لم يكن يستهويني، فكنت أراه، بالرغم من وسامته وثرائه، شاب عادي جداً، وكنت مقتنعة أن إصراره على ملاحقتي ليس إلا ردة فعل لتجاهلي له، لأن هذا النوع من الشباب لا يستقره سوى تجاهل الفتاة له، فيترك قطيعاً من ملكات الجمال ليلهث خلف المعزة الشاردة التي تتجاهله!

ولكن إياد أثبت لي عكس ذلك كله، لقد خسرت جزءاً كبيراً من ذاكرتي، بالذات في الفترة التي تقاوم فيها مرضي، ولكنني أذكر أن إياد تقدم لخطبتي وأنا أحتضرها ورفضته، ولكنه أصر بكل عناء.. لم يتركني لحظة أثناء العملية ولا بعدها..

أصر إيباد على تسميتها جمانة.. احترمت إصراره، وكتمانته لسر تعلقه بذلك الاسم.. وغيرتي من احتمال أن تكون جمانة هذه إنسانة ذات مكانة خاصة في حياته، كل هذا لا يهمني.. المهم أن الله سبحانه كتب لي حياة جديدة سعيدة.. بفضلته ثم بفضل إيباد الذي وهبني حياته كي لا أفقد حياتي، والدكتور عماد الذي لا يمر أسبوع دون أن يرسل رسالة لإيباد ليطمئن علي وعلى جمانة.. ولا أنسى أيضاً فضل الذي قررت معه عن واقعي عندما لم أحتمل الآلم.. بالرغم من كونه وهم نسجته معاناة دماغية.. إلا أنني لن أنساه أبداً..

لن أنساك أبداً يا حوجن!

أُسئلتني والمعلومات التي أخبرني بها عن عالم الجن والأبعاد المختلفة.. كل ذلك كان فيلماً بارعاً من إخراج وإنتاج.. دماغي! حوجن هو النسخة التي رسمتها أنا لنفسي، هو الشخصية التي ابتكرها دماغي ليعالج جوانب النقص في شخصيتي أنا.. ذكر من عالم آخر ذو قدرات خارقة.. أقنع نفسي بوجوده لأهرب من واقعي كأثلي مريضة ضعيفة عقلانية إلى عالم الخيالي. كان الدكتور عماد زكي يدهشني.. بل يربطني أحياناً عندما يستنبط ويحل دقة تفاصيل حالة "حوجن" في حياتي.. كان في نفس الوقت يعزز جوانب النقص التي دفعتني إلى اختراع حوجن، استعدت ثقتي بنفسي، استعدت عشقي للحياة، لم تمض سنة حتى كنت مخطوبة لإيباد، قررت أن أسخر حياتي لأرد بعض جمائله علي، أستيقظ كل يوم وكأني ولدت من جديد، نعم! كل يوم نستيقظ فيه هو هبة من الله سبحانه، لا بد أن نستغل كل لحظة فيه لنسعد من حولنا، ونسعد بسعادتهم، ليس بالضرورة أن يواجه الإنسان الموت ليستشعر أعظم نعم الله عليه.. نعمة الحياة! سأشكر الله على حياتي.. لحظة بلحظة.. من أجل إيباد.. ومن أجل ابنتي.. جمانة!

(20)

الوداع يا سوسن!

كنت أظن أن أصعب لحظة في الحياة هي لحظة الوفاة..
تقترب منا كلما فررنا منها.. لكنني اكتشفت اليوم أن في
الحياة لحظات نتمنى أن يداھمنا الموت قبل أن تداھمنا..
لحظات يقتلنا فيها الألم لفقد من ذابت لهم قلوبنا.. اليوم تركت
سوسن بين الحياة والموت لأفجع بفقدان جماري.. وابني!
انطلقت إلى ملاح وأنا متيقن من أنني لن أعود. احتشد الجميع
في ساحة المدينة حول المنصة الملكية، التي جلس عليها هياف
بكامل أبهته على عرشه، وعن شماله مبعوث اللعين وأمامهم
المذبح، وعلى المذبح طفل رضيع، هذه أول مرة أرى فيها
ابني.. أراه بين يدي سادن يتأهب لذبحه من أجل اللعين! في
موقف كهذا لا يحتاج الشخص إلى تحليل أو تفكير، كنت
أنتقدم نحو المنصة بجنون وهياف يتلو الطلاسم وفي لحظة
مباغته كنت أمام السادن الذي صُنع عندما فوجئ بي أمامه،
لم يستمر انداءهش لأكثر من لحظة حيث كنت أمرر السكين
التي كان يستلها فوق عنق ابني على عنقه هو، لم أعطه
الفرصة ليستوعب أنه نُبج على مذبحه! مددت يدي لأتناول
ابني الذي لطخته دماء السادن ولكن حركتي تكبلت قبل أن
أصل إليه حيث هجم علي جيش من الحرس الذين تكوموا

ومن حولي المردة.. صارعت الأمواج وأنا أسمع صرخاتهم التي لم تستوعب أنهم انتقلوا إلى البعد المادي ليفرقوا في أعماقه. يجب أن أعود لأثقف ابني! شعرت بذراع لزوج يلتف حول عنقي وذراع أخرى التفت حول معصمي وذراع التفت حول خصري وآخر حول صدري يعتصرني بشدة، يحطم أضلاعي وشعرت بأنياب حادة تنغرس بين رقبتني وكتفي.. لقد كان ذلك هيافاً.. قرر أن يتخلص مني في العالم المادي فتجسد واتخذ شكل مخلوق عجيب بأذرع متعددة وأنياب حادة كان من المستحيل أن أتخلص منها. حاولت أن أعود لبعدينا باستمانته، اختنقت بدأت أشعر أن لحظة وفاتي قد حانت، ولكنني ما إن تذكرت ابني حتى فرت مني لحظة الوفاة قصصحت رغم اختناقي وضلوعي المتهيشة والمياه التي ملأت صدري.. حاول أن يلجم فمي بأذرعة ولكن صرختي انطلقت وأعادتني سقطت كالحجر بقرب المنصة ويجواري الملك هيافاً.. ولكن المنصة التي غادرناها لدقائق بسيطة انقلبت إلى ساحة معركة حقيقية! الغلطة الأخرى التي ارتكبها هيافاً هي أنه تمادى في التهكم بالفيحيين! ثارت دماؤهم التي كان يتوعد بضربها فانتقضوا على الحراس وعاونتهم الحشود التي لم تعد تطيق ظلم هيافاً.. كانت معركة غير متكافئة أبداً.. استأثر

فوقي وثبتوني على الأرض، رأيت أقدام الملك تقترب بيضاء من رأسي المتصق بالأرض:

"خوجن.. معلش أضطريت أفتح بطن جماري عشان أخذ الولد.. تعرفني ما أقدر أصبر!"

فجأة سقط أمام وجهي مباشرة رأس!.. رأس زعنم..

"للأسف الشديد أضطريت أقتله.. كان بيسوي فيها بطل ويبادع عن أخيه، بس تصدق؟ المدام من جد حلوة، حتى وإحنا بنشق بطنها كانت غاية في الجمال! بس ما حبيت أشغلك عن البنوة الإنسانية وأجيبك تشوف ولدك ينذبح قدامك.. أخلاقياتي ما تسمح لي.. لكن بما إنك أصرت تشرفنا.. ماقي مانع تشرب المزيد من دم الفيحيين.."

كانت هذه غلطة هيافاً الكبرى، تجرباً على ذكر جماري! لقد أصدر حكم الإعدام على نفسه! ماجت الدنيا أمام عيني أعتقد أنني استطعت رفع كومة المردة فوق ظهري لوهلة ثم.. انتقلت! انتقلت إلى عالمكم.. وسحبت معي مجموعة منهم! شعرت بنفسني ساقطاً في الهواء لأرتطم بالأمواج الثائرة

فتحت عينيها بتأقل شديد، حاولت أن تتعلق بحضني ولكن جراحها وآلامها لم تسعفها سوى بتحريك شفتيها:

"حوجن.. حوجن حبيبي.. ليه تأخرت؟"

صمتت شفاهي ونطقت دموعي.. احتضنت كفها إلى صدري..

"حوجن كيف حال سوسن.."

أومأت برأسي.. لا يهمني في هذه اللحظة سوى جماري وابني.. لحننا زوجة عمي فأقبلت في فرح تحمل ابننا، تناولته منها بيد ورفعت جناري باليد الأخرى ليستمتع بحضن أمه لأول مرة، ابتسمت جماري وكأن روحها عادت إليها هي أيضاً عندما اطمأنت على ابننا..

"ميحال.. شبهك يا حوجن!"

"قصداك إلياسين.."

لم يتوقع أحد أن لا أسمى ابني على اسم أبي وأن أسمىه على اسم جدي النفري..

"إلياسين؟"

فيها الفحيون بالكثرة والشجاعة ووجد هياف نفسه ملقى بين أقدام الذين كانت غاية أمانهم أن يدوسوه ويتخلصوا من ظلمه. لم يبهياغاً ولم يبه بدمائي التي تنزف بغزارة من رقبتي وكثفي، ولا بالآلام الرهيبة في ضلوعي.. فقط انطلقت بين الزحام نحو ابني الذي حملة أحد أعمامي، تناولته منه، احتضنته لأول مرة في حياتي، ثم اظلمت الدنيا في عيني وفقدت وعيي.

لطف الله ليس له حدود، في خضم يأسنا ومأسينا تنسينا عقولنا المحدودة لطف ربنا وقدرته، حتى إذا انقض علينا هلاكنا تغمدا برحمة منه تخجلنا من يأسنا وتنسينا مأسينا. أفقت من غيبوتي في اليوم التالي، كنت مستلق في بيت أحد أعمامي يضمون جراحي، تلفت فرأيت ابني تحمله زوجة عمي، تلفت للجهة الأخرى فرأيتها. رأيت جماري مستلقية جوارى.. رؤيتي لها ردت إلي روحي فتوجهت لها رغم الآمي، أريد أن أتأكد إن كانت هذه جماري أم جثتها، كانت شاحبة كالأموات وكأن دماءها قد جفت.. وضعت يدي على جبينها وهمسست همسة عجزت أذني عن سماعها..

"جماري.. جماري.. أنا حوجن.."

تأهيلها جسمانياً وعقلياً، ولكن نفسياتها بقيت محطمة، وتدخلت أنا لعلاجها بخطة عبقرية رسمها إياد. بدأت سوسن تتذكرني وتذكرني، سألت إياد عني مراراً، ولكنني نبهته إلى أنه يجب أن ينكر وجودي، يجب أن تنسى سوسن كل شيء عني كي تعيش حياتها الطبيعية وتسخر جميع عواطفها لإياد. استغل إياد شهادته الطبية وبعض أموال أبيه ليفتح عيادة نفسية، واختار أكثر الأطباء خبرة في حالة سوسن: أنا!

استغرقت فترة طويلة لأتقن التشكل في عالمكم، والبركة في جماري التي علمتني، كنت أنتحل شخصية الدكتور النفساني عماد زكي، وكانت جماري تنتحل شخصية ممرضتي، هي أصرت على ذلك من باب الفضول، والغيرة على ما أعتقد. معرفتي بكل ما حصل لسوسن سهل علي عملية إقناعها بأنني لم أكن سوى وهم نسجه خيالها وشخصية ابتكرتها هي لتعزز جوانب النقص في شخصيتها.. لم تقتنع بسهولة، سنة كاملة وأنا أعيد إحياء معنوياتها وثقتها في نفسها، سنة كاملة وأنا أحاول محو جميع ذكرياتي من وجدانها.. ونجحت! كنت أتعذب وأسيطر على دموعي بصعوبة أثناء كل جلسة وتنهار سيطرتي بعدها. كدت أن أفصح نفسي أكثر من مرة، كدت أن أعترف لها بوجودي وبحبي. ولكن ذلك الحب منعني من أن

"اسم جدي الله يرحمه.. لو أبويه كان عايش ما كان رضي يسميه غير إلياسين.."

ترك ملاج بعد أن تماثلنا للشفاء أنا وجماري. بعد مقتل هياف والتمثيل بجثته اتفق سكان ملاج وضواحيها على تشكيل سلطة حاكمة مكونة من زعماء القبائل يترأسهم عمي، وبالرغم من انشغاله إلا أنه حاول مراراً ليقنعنا بالاستقرار في ملاج، نفس المحاولات حاولها معنا شيخ اليتمة عندما ذهبت لأري ابني إلياسين لوالدتي. قررت أن أخذ والدتي وزوجتي وابني لنستقر بعيداً عنكم أيها الإنس.. وبعيداً عن الشياطين في ملاج وبعيداً عن المتشدددين في اليتمة فانتقلنا للعيش في الهندية التي تطورت مديناً عندما تعايش سكانها تحت مظلة الحرية والعدل وتجاهلوا العنصريات القبائلية والمذهبية.

انشغلت بأسرتي عن سوسن.. عدت للاطمئنان عليها بعد أن استقرت أموري العائلية، كانت حالتها تدمي القلوب، بعد العملية فقدت ذاكرتها وقدراتها العقلية وأملها في العودة لحياتها الطبيعية، كانت كطفلة نائمة لا تملك سوى إصرارها وتعلقها برحمة الله، وكان إياد معها لحظة بلحظة، كنت أحضر معه جلسات العلاجية، التي استمرت سنة كاملة أعادت

أشكركم على كل كلمة قرأتوها وكل عاطفة شاركتُموني إياها،
قد أكون بجوار أحدكم الآن وهو يقرأها، قد أشاهد أبناءكم
وأحفادكم يقرأونها. كم ترعيني هذه الفكرة! فكرة أنني أكبر
ببطء بينما أشاهد سوسن تكبر أمامي بسرعة.. بعد سنوات
قليلة ستكبر جمانة وتتزوج ويصبح لسوسن أحفاد و..

المهم أن تكون هي بخير..

وأن تكون فكريتكم عنا قد تغيرت..

وأن أترك بين يديكم قصتي..

قصتي مع سوسن.. الإنسانية.



- النهاية -

أعود مرة أخرى لحياتها التي عادت إلى طبيعتها. عزموني
بصفتي الدكتور عماد زكي وممرضتي، جماري، إلى
زواجهما، ويعدّها بسنة عزمونا بمناسبة تشريف مولودتهم
الجديدة التي أصر إياد على تسميتها جمانة إكراماً لجماري
بالرغم من أن ذلك الإصرار كاد أن يفضحنا.

أصبحت أراقبها كلما سنحت لي الفرصة، أزور منزل الدكتور
عبدالرحيم رحمة الله عليه كل جمعة حيث تأتي سوسن وإياد
لزيرة السيدة رجاء. أخذ معي إلياسين أحياناً. ترانا طفلتهم
جمانة التي لا تزال روحها غضة شفافة فتضحك مع إلياسين،
أحرص دائماً على توصية إياد على سوسن، أرسل له رسائل
من جواله الذي لا زلت أحتفظ به، وعندما تسأله سوسن يجيبها
بأنها رسالة من Dr. E Z الدكتور عماد زكي للسلام
والاطمئنان.

وهاهي السنين ترونها تمر بسرعة، ونراها تمر أسرع.. لا
أصدق أن إلياسين أصبح في الرابعة وجمانة في الثانية من
عمرها، مرت في هذه السنين البسيطة من عمري بأحداث لم
تمر علي في التسعين سنة التي قبلها، وما زلت أتساءل لماذا
كتبتها لكم..

الخفيفة وأنا أتوجه إلى المصعد كطفلٍ سيتعرض للتوبيخ الشديد!

"يعني حضرتك سايب الشغل وجالس تتحلون قدام البنات؟!"

قالتها بغضب ونحن في طريقنا إلى غرفتي..

"مو مشكلة! أديني ساعة بس وأنا أتعلم لك فيها صيني ولاوندي كمان!"

"لحسن حظك السيد بروس يتكلم إنجليزي!"

"طب ما قلت لك من أول بلاشي الغلبة وخلينا نمشيها بالانجليزي أو جهاز الترجمة!"

"وأنا قلت لك إنه ما فيش أحسن من التفاهم مع الشخص بلغته!"

غاصت في غرفة الملابس، وعادت بسترّة رياضية صفراء، مزيّنة بخطّين عريضين أسودين على طول أكمامها..

"تذكرت!!"

- من صفحات الرواية القادمة: هناك -

مرت بنا الساعات سريعة ونحن نعزف ونغني، تذكرت معظم الأغاني التي سمعتها في حياتي، عزفتها، وغنيتهها معهن. من أغاني أم كلثوم وحتى أغاني أفلام الكرتون! أعتقد أن كارلوس سانتانا سيتحطم نفسياً ويعتزل إن سمع عزفي على الغيتار! لم أجروّ طبعاً على طلب تعلم الغيتار من بيتهوفن، وإلا لحطمه على نافوخي. فعلاً لم أشعر بوقتي وأنا غارق في المتعة مع ليان وأخواتها، حتى بترت ملاك متعتنا فجأة! كانت واقفة أمامي مكتفة يديها وجمالها كله تحول إلى كتلة من الغيرة والغضب، لم ألاحظ أنا وجودها في البداية فقد كنت منهمكاً بالعزف والغناء إلى أن ارتبكت ليان واصفر وجه لينا وانشلت حركة لين، رفعت رأسي نحو ملاك فقالت:

"学习中国呢？太棒了!"

طبعاً لم أفهم من رطنها شيئاً! فقط استوعبت أنها كانت عبارة غاضبة باللغة الصينية التي كان من المقترض أن أتقنها بدل أن أضيع الوقت مع ليان وأخواتها!.. ملاك لم تقرصني من أذني ولم تجرني بها إلى المصعد، ولكنني شعرت ضمناً بالألم والشد في أذني، لم تستطع الحوريات حبس ضحكاتهن

هتفتُ بها فجأبتني:

"تذكرت السيد بروس؟"

"لا! تذكرت إني إتحادي حتى النخاع! كيف عرفت إني

إتحادي؟"

مازالت غيرتها مشتتة.. لا ألومها! بصراحة لا شغال غيرة
الفتيات لذة خاصة.. ممم أفضل أن أحترم نفسي حتى وأنا
أفكر مع نفسي، لا تنسوا أنها تقرأ أفكارني وقد تنفجر في أي
لحظة! أَلت بالملابس على وجهي وقالت بعصبية:

"عندك ثلاث دقائق! تغير ملابسك على بال ما أجيب

السيارة من الموقف! لو تأخرت حاروح وأسيبك!"

قالتها بلهجة أمرة لا تتماشى أبداً مع رقتها ونعومتها.. ولكنها
فاتنة حتى وهي في قمة غضبها! لبستُ بسرعة خارقة ونزلت
في اللحظة التي علا فيها هدير محرك سيارة شيفيللي
إمريكية وظهرت مقدمتها الحمراء الطويلة تقودها ملاك التي
لفت على رأسها منديلاً حريضاً أبيض مزين بدوائر سوداء
وارتدت نظارة داكنة كبيرة، كأنها إحدى ممثلات هوليوود في
عز السبعينات.